معذرة ما زلت أنتظرك

معذرة مازلت أنتظرك

الكاتبتان: نوران حسام & رنا مصطفى

رقم الإيداع: 21938 / 2018

ISBN: 978-977-798-149-1

الطبعة الأولى يناير 2019

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

9 789777 981491

معذرة
مازلتُ أنتظرك

نوران حسام
رنا مصطفى

الحلم
للنشر و التوزيع

إهداء إلى

الأوراق التي تحمّلت شتاتنا ولم تعبأ يومًا بالرحيل..

إلى نصف كوب القهوة الذي يُشعرنا باكتمالنا الإنساني..

إلى الساعات القليلة التي قررنا تعليقها بحوائط ذاكِراتنا..

إلى أوراق الشجر التي لم تتركنا نسقط وحدنا..

إلى الماضي الذي يُذكرنا بأحلامنا والمستقبل الذي يُذكرنا برحيلنا، وإلى الماضي الذي دومًا وأبدًا لم يتركنا وحيدين..

إلى تلك العجوز التي تراقبنا من شرفتها، الطفل الذي يحلم بأن يكبر، المراهقة التي تحتقر المجتمع..

إلى الموظف الذي لم يألف أي شعور..

إلى أرواحنا المشتتة في البقاع، وثورتنا المختبئة بداخلنا..

إلى ذلك الشعور الذي يقودنا

وإلى أحرفنا الناقصة وأنفاسنا المتلاحقة..

إلى تلك الكلمات التي لم توجه إلى أصحابها.

وتمر الأيام، وتنمو الحياة وتتفرع، وتتجمع المصائر في الأفق.

نجيب محفوظ

عزيزي (أ)

ترددت كثيرًا قبل أن أشرع في ذلك، إلّا أنّ قوة ما دفعتني لأن أبدأ. أكره أن أتوسل، أن أُدمع في حضرة أحدهم، أو أن ألتمس الشفقة من بشري، إلا أنّي أكاد أجزم أنّي بحاجة إليك!

مازلت أبحث عنك في كافة أرجائي، أتنصت أخبارك، أنتظر أحدهم أن يشير فقط إلى أنك بخير.

أبحث عنك في كل مكان، ولم أعثر عليك إلا في داخلي.

أذناي مازالت تتذكر صوتك برنته الرزينة التي تبعث الاطمئنان إلى كل كياني، وحين تذكره تثير الرعشة ذاتها في أوصالي.

قلبي تزداد نبضاته حين أتذكر رائحتك.

مازلت تحيا في داخلي ومعي وفي عقلي وصميم روحي.

أسأل الشمس في كل شروق لها عنك، وأستحلف القمر أن يبعث لك إشارة مني، أحدثه عنك وأقص عليه ذكرياتنا، أخبره كم كنت أفتتن

بملامحك الحادة التي يسكنها دفء نادر الوجود، أحسد السماء على رؤيتها لك وأشكر أوقات التقطت لك فيها الصور فتعيدني إليك وتسنح لي الفرصة لأتأملك.

أستمع إلى موسيقاك المفضلة لأستحضر روحك أثناء احتضار روحي في البعد، أحاول استرجاعك قدر المستطاع حتى وإن كانت عودتك تلك في خيالي فقط. شيء واحد يأبى العودة بالمؤثرات الخارجية، شيء واحد يستنزفني دون رحمة، شيء واحد يقف أمامي في تحدٍ واضح وهو يخبرني بعجزي في تغطية غيابك وهو أحاديثنا؛ اشتقتها وأشتاقك، أشتاق لأحاديثنا حين كنا نتعانق فكريًا ونتلاحم بآرائنا ونسمو بأرواحنا وننفصل عن واقعنا بأحلامنا ونهرب من شتاء العالم إلى ربيعنا الأخضر.

لكني أبدًا لن أياس ولن أتوقف عن مراسلتك، لن أفقد الأمل في أن تعود الروح في أحاديثنا المندثرة، سأدوّن كل تفاصيلي وسأعرضها عليك حين تعود. أعلم أنك ستعود، أعلم أن لنا لقاء ما بعد الفراق، أعلم أنك في قدري وأنني فى قدرك، فلا مهرب مني إلا إليك ولا مهرب منك إلا

إلي، ستتقاطع دروبنا يومًا بقوة أكبر مني ومنك وبعودة أقوى من الغياب وبوصال دائم بلا فراق وحينها ستجدني في انتظارك برسائل مليئة بالأحداث وعقل يتبنى آراءك وروح تزخر بالمشاعر وقلبًا لا يخفق إلا حبًا وأملًا في اللقاء.

عزيزي....

أنا أنتظرك، ها هنا قابعة في مكاني، لا أتحرك، لا أتكلم، لا أهتم ولا أكترث إلا بتفكيري فيك.

حبيبي أين أنت؟

قد قتلتني سكاكين التوجس حقًا، لا أقوى على شيء ولا أرغب في شيء، ولو كان التنفس شيئًا بيدي لامتنعت عنه؛ لكي أصبح خالية من أي شيء إلا منك.

كل أفكاري أصبحت أنت، وكل مخاوفي تحققت بك، وكل الأشياء حولي بها البعض منك، حتى أنني كلما كتبت حرفًا أرى طريقتك في الكتابة وكلما لامس إصبعي الورق تذكرت أنّك تقشعر من ملمسه. فكل ما حولي يدندن بك، حتى أنا، فنتناغم جميعًا ونُشعل الحضرة في انتظارك.

اليوم خرجت مع صديقتي، تلك الفتاة الشقراء التي حكيت لك عنها كثيرًا، أعلم أنّك كنت ترى فيها من الذكاء والفطنة ما يكفي بلاد.

خرجنا معًا في المنطقة المحببة لك، رويت لها عن كل شيء حدث الفترة السابقة إلّا أنّ كل شيء تم روايته أبى ألا يكون إلا عنّك، وإن لم يكن بطريقة مباشرة، فتلميحاتي كانت تكفي، وإن لم تكف فكانت لمعة نظراتي تفشي كل شيء.

عزيزي إلى متى غيابك؟ هتكت قلبي الهواجس! راودتني كل الأفكار البشعة، وكل الأفكار مفادها أننا لن نكون سويًا.. أحقًا أنت لم تعد تريدني؟ أم أنّ عقلي يحيك المكائد؟!

لا أستطيع الإجابة فحتى الإجابات كنت أستعيرها منك أنت، فأنت المسكن وأنت الروح، أنت المنزل الذي مادام يأوى اضطراباتي ويخفف من روع دقات قلبي.

أرهقني عقلي من التفكير، وأرهقني جوفي من المشاعر، أما عن روحي فقد غابت وأنا أبحث عنك. رجاءً عُد....

عزيزي (أ)

تداهمني الأسئلة من حين لآخر فباتت تظهر الواحدة تلو الأخرى دون رحمة. ألم تفتقدني مثلما أفتقدك؟! ألم تشعر بالغربة في البعاد؟

كنت تخبرني دائما بأنني وطنك وأُخبرك بأنك جنتي، فهجرت أنت وطنك وطُردت أنا من جنتي، الآن فقط أشعر بالوحشة التي شعر بها آدم في أولى لحظاته على الأرض وأُقدّر مدى تيهه وهو وحيد يبحث عن حواء في كل مكان وأتفهم مدى خوفه من العالم الذي هبط عليه. بحث آدم عن حواء كما أبحث أنا عنك، لكن آدم وجد حواء فلماذا لم أجدك؟!

هل بات لقاؤنا مستحيل لتلك الدرجة؟ هل أصبحت أبعد من بُعد المسافة بين آدم وحواء؟!

تُرهقني الأسئلة يا عشقي وتتلاعب بي مثلما تلعب الهرة بكرة الخيط، فتارة يطرح سؤال نفسه مستعرضًا قوته ومحتقرًا لضعفي ويسألني: هل تظني أنه أحبك يومًا؟ فأخبره في لحظة شوق ومرارة حنين أن نعم وإنك

لم تحب سواي وبأن اختفاءك له تبرير مقبول وأنني فور عودتك سأسمع مبررك وأصدقه وأصدقك، ثم تجلدني ذكرى الفراق والوداع، مازلت أذكر ذلك اليوم.. يوم اللقاء الأخير، أذكر ملامحك الهادئة التي لم يظهر عليها نواياك في الاختفاء وسلام يديك الذي اختفت منه الرجفة وشفتيك التي قطعت وعدًا بأنك ستعود.

خلفت وعدك ولم أعهدك مخلفًا للوعود يومًا، فصدقتك وطمأنت قلبي الذي أحدث جلبة بين ضلوعي هامسة له سيعود حتما سيعود. ولكن صدق قلبي وكذبت.

تتدفق تلك اللحظات كفيلم سينمائي في عقلي اختفاء ووعود كاذبة وأحاديث ناقصة لحظات اقترابك وابتعادك وكلها فجَّرت الحقيقة أمام عيني كلها، أخبرتني بأنك يومًا لم تحبني....

هذا خطابي الثاني لك وأنا أنتظر أن تعود لتجيبني إجابات شافية لقلبي ومشبعة لعقلي.

❋ ❋ ❋

حبيبي..

كلما فكرت في الامتناع عن الكتابة لك باغتتني روحي بأنني سأقضي البقية من عمري في جحيم، فهرعت إلى الأوراق أتحسسها قبل أن أكتب لك ويكأنني أتحسس وجهك بأول لقاء من عودتك.

عزيزي (أ)، رُبما لم تعد تنتظر رسائلي أو رُبما لم تقرأها من الأساس، إلّا أنني أكتب كل يوم وكأن كل يوم هو ما تبقى لي من عمري.

في فراقك زادت قوة ملاحظتي، لا أدري ما سبب ذلك، إلّا أنني أصبحت أنتبه لأدق التفاصيل وأصغرها، وفي نفس الوقت لا أعبأ بها جميعًا، تُرى ما ظنّك اتجاه ذلك؟

أهو عقلي الذي استفاق مؤخرًا بعد رحيلك؟ أم إنّها هواجس عاشقة تبحث عنك بكل التفاصيل وبكل المنثورات؟

من بعض اكتشافاتي حديثًا أنّ الزمان يعيش المرء وليس المرء هو الذي يعيشه، فالزمان خالد لا يفنى، ونحن مجرد عدّة مراحل متتالية فانية به.

كلّما تخيلت مدى عظمة العالم أدركت مدى تفاهة الدُنيا.

نحن مجموعة من الأرواح المثقلة تعيش فوق سطح كرة بيضاوية تحيط بها حفنة من مختلف أنواع الغازات، يا للحسرة أهناك أتفه من ذلك؟!

تأتي أحيان أجلس فيها بمكاني، أتدارى من الوجوه، أحاول ألّا أُحدث أي جلبة من أي نوع وأتقوقع بداخل ركبتاي وتهدأ أنفاسي وأفكر.. لم هذا العالم بذلك التعقيد المرهق حقًا؟ لم نعيش هُنا وبالتحديد بتلك البقعة من الزمان والمكان؟

لمَ لمْ أُولد بعصور الحروب العالمية، فتكون أنت جنديّي المقدام وشجاعي الأزلي، أقبّلك قبل أنّ تذهب في استرداد شرف الوطن وأجلس أنا في لهفة انتظارك عائدًا لي، منصورًا وبحوزتك حفنة من الأشواق مكنونها عينيك؟!

لمَ لمْ أُولد بعصور الظلام، حين نتقابل صدفة ونتفق على الهروب خارجًا إلى جزيرة خالية تخلو من الكآبة وتظلل عليها الأشجار بأحد المحيطات الأربعة؟!

لمَ لمْ أُولد بعصور الجواري، حين يقوم بعض الملوك ببيعي وأحظى أنا ببيعي للملك الأجمل والأعظم، أنت، فأتصارع مع جارياتك الأخريات لأكتسبك حقًا لي للأبد؟!

كان من الممكن أن يكون ذلك أقل وطأة على نفسي وأقل شدة على أوصالي، بدلًا من رحيلك المتواصل غير المبرر، الذي لا أجد له أسباب أو تبعات غير أنّك تركت لي حروبًا لا تزال على قيد الحياة بداخلي، تركتني ككابوس يشعر فيه الناس ولكنّهم معلقون من حواسّهم في الظلام، وزرعت بي أفكارًا كالجاريات تقتل بعضها بعضًا، تدبر المكائد حتى تلقى إحداهن مصرعها ولا يتبقى غير واحدة هي عاشقة لك.

عزيزي يشعري الجميع حولي بأنّني أهذي، عُدّ إليّ حتى تنكتم أحاديثهم، عُدّ حتى وإن كُنت مهزومًا، فستكون أنت نصري.

❋ ❋ ❋

عزيزي (أ)

يغريني بياض تلك الصفحات بشدة، حقًا أنني أكاد أجزم أني بدأت أشتاق لتلك الأوراق إذا مرّ يوم دون مناجاتها.

أصبحت لي كالصديق الخيالي الذي لا يفارقني، لا أنوي العزوف عنها ولا سترحل وتتركني في يوم ما.

أو رُبما أكون أنا صديقتي الوحيدة، فما تلك الحروف إلا انعكاسًا لي. جزء آخر لم أستطع الوصول إليه من خلال مرآتي، جزء يبدو مُظلمًا وإن حاول أحدهم اقتحامه لفظه بعنفوان شاب وبقوة مصارع، جزء أنا بذاتي أخشى أن أتعرّف عليه، حتى أكثر مما قد أرهب التعرّف على بشري جديد، أصبح قلمي وساعة الكتابة بالنسبة لي روتينًا يوميًا، لا أصبو إلى أكثر من وجود مكان هادئ بعيدًا عن البشر مليئًا بالخيالات، مكان أنعزل فيه مع ما تبقى لي منك.. بعض الذكريات المتفرقة.

لا أدرك حقًا أأفكاري مشتتة أم أنني فقط بحاجة إلى بعض الراحة كي أستطيع أخذ بعض القرارات المهمة بحياتي، قرار حاسم يخص أسأكل الجبن أم لا، وقرار لأعرف هل سأنام على وسادتين أم واحدة تكفي، وآخر ليحدد أأريد استكمال حياتي أم كفاني!!

عزيزي..

كيف حالك؟

أظن أنّك بخير.

دائمًا تتردد عليّ فكرة أنّك بخير من دوني، أنّك لم تعُد تحتاج إلي بعد الآن، فلما لا تكون بحال حسن وأنت من اختار؟!

كلما حاولت الاستفاقة مما أنا هائمة فيه بأفكاري تلك، أنّك الذي اختار البِعاد، أنّك الذي يحظى بالعيش الهانئ، أنّك بخير من دوني، كلمّا حاولت كذّبتهم روحي بحجج عدة، تنهرهم روحي بأنّك في ظروف خاصة وستعود قريبًا، بأنّك أردت فقط أن تحميني من شيء ما لا أستطيع معرفة ماهيته الآن، وبأنك الوحيد الذي أحبّني بصدق فلن تؤذيني.. نعم هي على حق، إلى حدٍ ما.

لا أريد أن أنسى ما سأحكيه لك عندما تعود، فلاحت ببالي فكرة أن أحكي لك عن كل ما يدور حولي وبداخلي، أعلم أنّك لن تملّ من أحاديثي، فلم يكن من عادتك الملل.

اكتشفت مؤخرًا أنّ بعض العلاقات السطحية لا يمكن أن تُصبح أعمق فيما بعد، إلا إنها ليست بهذا السوء الذي توقعته من قبل، فقد تسمح لك فكرة أنّ أحدهم سيستمع لك -دون أن تربط بينكم علاقة قوية- بالشعور بالراحة.

كإنك تقف أمام مرآة بعد إنهاك سفر دام أعوام، تزيّن وجهك الندوب، وتغرق ملابسك في الاتساخ إلّا أنّك مازلت تتنفس، ومازالت بداخلك قدرة أن تحكي حتى تستعيد قواك من جديد ومازلت تحلم بسكينة لبعض اللحظات.

أنا أؤمن أنّ الجميع غير معافى، فلا يوجد من ذاق الفراق والألم والموت والفشل والظلم، الجميع طالته أمواج الحياة بلطمات سريعة وزامنتها السماء بسيول من المشاعر، فالبشر مرهقون بلا استثناء، فما أعزّ أن تذرف المشاعر، ما أصعب أن تستنبط الأحاديث من داخلك، وما أشدّ أن تتقلب مشاعرك. فللقلب إعياء وللروح إعياء وللمشاعر أيضًا إعياء، فمشاعرنا هي طاقة بداخلنا كلما حاولت أخذنا في اتجاه ما اضطربت وأخدتنا مباشرة إلى الاتجاه المعاكس فما يصيبنا نحن إلّا التيه،

الهمّ، والاستسلام.. وكأنّها سلطان جائر لا يستطيع أحد معارضته، أو فلسطيني ثائر لا يقوى على تحمل الوهن، أو رُبما امرأة عجوز تمتلك ما يكفيها من القوة كي تحيك صوفها، قوة نمرودية تطيح بمن يتعرض لها، ولا يسعنا نحن سوى المشاهدة، فما أصعب كوننا متفرجين، كوننا راجين، كوننا منتظرين، وكوننا بشر!!

رُبما ستجد نفسك جالسًا تحكي وتسرد لأحد المجهولين، عن أول كذبة واجهتها بالعالم عندما قالوا لك "ماما جاية" أو ستخبره عن أول اصطدام لك بالواقع عندما وعيت أنّك لست مركز الكون، أو رُبما ستخبره عن أول اختبار رسبت به أو ستخبره عن شتاتك المبعثرة بعد ضياع أول حُب لك وبقسوة، قد تحكي عن كونك مختلف لا تجد من يشبهك، وبغربتك في هذا العالم، رُبما ستحكي عن كونك بشري يفقد سماته وإنسان يتحول لاسم، وقد لا تحكي بتاتًا وتؤثر الصمت.

حـبيبي، كُن بخيرٍ لأجلي.

❋ ❋ ❋

إليك أيها الغائب

وددت لو قلت عزيزي كما اعتدت أن ألقِّبك في رسائلي أو حبيبي كما اعتادت شفتاي على نطقها ولكن تلك المرة ظهر حاجز بيني وبين ألقابك، قد يكون غيابك الزائد عن حده.

قبل يومين من الآن قد قررت بأن أتوقف عن مراسلتك، قررت النسيان والابتعاد، قررت أن أتوقف عن الحديث الذي لن يصل لك يومًا ما، ولكن انهارت قرراتي أمام حلم رأيته لك وما إن فتحت عيناي حتى وجدت الأوراق والقلم يتحدونني وخضعت لهم!!

أظن أنك عالق بداخلي وأنك تمارس عنادك الدائم في الابتعاد عني وأظن أنني مازلت أريدك وداخلي سعيد بتشبثه بك.

كل الظواهر والأحداث تقودني لأن أراسلك على أمل اللقاء والتوضيح، منذ غيابك لم أجد من هو أفصح منك وأبلغ تعبيرًا ليوضح لي كل استفساراتي، هكذا أنت دائمًا تملك ما لا يملكه أحد.

أراسلك لأخبرك أن العالم بات لا يطاق، الكثير من الزحام المؤدي إلى الموت والأصوات العالية باتت تُزعجني أكثر من ذي قبل، حتى عملي أصبح مملًا ورتيبًا وقد قررت الابتعاد عنه، قد تكون فكرة متهورة غير مسئولة ولكن لم يعد هناك اختيار آخر، مللت البقاء، لا يوجد شيء يشبهني وكأني نبتة تحيا

في صحراء أفتقد روحي القديمة واختفى الشغف من حياتي.

تلك المرة لن أطلب منك العودة، لقد شبعت روحي من خذلانك وملت يداي من الكتابة ونزفت كرامتي من الإلحاح، تلك المرة ازددت يقينًا بأنك لن تعود ولكني مازلت أطمع في صدفة أخرى كتلك الأولى التي جمعتنا في البداية دون تخطيط ودون حسابات أو صدفة كتلك الأخيرة التي جعلتني أراك في أحلامي وأعادتني من حافة الهاوية.

مازلت أطمع في الصدف وأتمنى أن تكون كريمة عليّ بقدر طمعي بها وأتمنى أن تعود أنت إليّ بقدر اشتياقي.

أرجوك لا تكن بخير إلى أن تعود إليّ.

❋ ❋ ❋

عزيزي (أ)

وددت لو أنك أرسلت لي مرسالًا كما أفعل، لو أنك خصصت لي جزءًا من وقتك وأفكارك وأهديتني إياها، لو رأيت في خانة المرسل اسمك ولمست يديك من خلال حروف خطتها فوق ورقة تستقر في يدي

لو أن لغيابك نهاية ولألمي حد.

تسلمت خطابك أمس من ساعي البريد الذي لم أصدق في البداية أن المرسل كان أنت، جعلته يقسم ألف مرة لأصدق أنك أنت المرسل وأخيرًا يا عشقي بعد مئات الرسائل خصصت لي وقتًا لتكتب لي.

لم أكن أصدق أنني أحمل بين يدي خطك وجزءًا منك ومن أفكارك، كدت أحلق في سماء السعادة حين نعتني بامرأتك الجميلة، أحقًا كنت امرأتك؟

سأُصارحك، ولن أُخفي عليك أنني قد أخبرتك في خطابي الأخير أنني كدت أتوقف عن الرسائل ولكن القدر ألهمك بأن تكتب لي لتقتل

اليأس الذي دبَّ بداخلي، لقد ألهمك القدر أن تُرسل لي مكتوبًا الآن فقط وأنت لم تكن لتقرأ رسائلي لتعرف أنني توقفت!!

ألم أخبرك يومًا بأنك في قدري وأنني في قدرك، مهما حاولنا الابتعاد سنفشل، كُتب علينا الفشل في قدرنا إن قررنا الانفصال.

وعلى الرغم من كلمات رسالتك القصيرة وحديثك الذي انتهى فور بدايته إلا أنه كان يكفي لأن تعود الحياة بداخلي، تلك الورقة التي تحمل رائحتك كانت كافية وتفيض لإعادة حواسي كلها للعمل.

وبالتأكيد أنت كما كنت كما عاهدتك تفلسف كل شيء كما الماضي. أتذكر خطابك الأخير بأحاديثنا حول الحروب حين استنكرت الحرب وتمنيت لو أن أحدهم لم يخترع سيفًا وأصبحنا جميعا نحيا في سلام دون تهديد دون موت دون خوف، أتذكر تبريرك وقتها أن الضعيف هو من يستفز القوي للحرب، كنت تحمِّل الضعفاء دائمًا مسئولية كل شيء وها أنت عائد لتحمِّلني مسئولية غيابك.

فقط لأنك لم تقرأ خطاباتي ظننت أنني اكتفيت بوجودك المادي، تهمتك تلك كادت أن تقتلني لوهلة، اتهامك كان أخطر من أن أمر عليه مرور الكرام،

كيف لك أن تظن أنني اكتفيت بوجودك المادي وأنا أحيا الآن بفضل استوطانك في وجداني؟!

كيف لك أن تتصور أنني فارغة تجاهك وأنا أمتلئ عن آخري بك وبأحاديثك وتنهيداتك وسكونك وثوراتك؟!

هل أستحق كل ذلك العقاب؟ هل تعاقبني بغياب بلا مبرر ورسالة بلا أمل وتبرير بلا وصال؟

حبيبي.. أنا لا أحب وجودك المادي فقط، لقد عشقتك دومًا حتى أنني أعشق ذلك الجانب المظلم بداخلك ولحظات شرودك وصمتك.

حتي وإن كنت سترسل فقط رسالتك بلا أمل تكن بمثابة البعث من الموت، أشكرك يا حبيبي على فرصة العودة للحياة من جديد.

أختزنك في وجداني، أستطيع أن أخمن ما سترسل لي، قد تلجأ إلى تبريراتك المعتادة وفلسفتك غريبة الأطوار.. تفلسف كل الأشياء وكثيرًا ما ألجأ إلى الصمت لإفلاسي لمناورتك بالمنطق، تتلاعب بالمنطق كأنك لاعب ماهر وصلت الكرة إلى قدميه

كنت أصمت لإفلاسي وإعجابي في الوقت ذاته، أُعجب بملامحك ونظراتك الحادة وألفاظك الساخرة في بعض الأحيان. وددت لو حصلت على كل تلك الأشياء في خطاب منك، لو حصلت على ذكرى أخيرة منك، لو عثرت على دليل مادي يُخبرني أنك كنت هنا يومًا، لو أنهيت عقوبتي على ذنوب لم أعرفها وأنهيت غياب ينهشني من الداخل والخارج، لو حصلت عليك مرة أخرى.

كنت أنا المتسببة في تلك المأساة، حقًا أنا من أعطتك كافة المفاتيح حتى مفاتيح قهري ونقاط ضعفي، أنا من سلمتك إياها، وبطريقتك الماهرة استخدمت كل مفتاح أمام الباب المناسب. لقد كنت ضحية ثرثرتي وتصديقي لك ولحروفك ولهمستك، كنت حمقاء بالحد الذي يُبعدك عني دون منطق يصدقه العقل أو نظرة تسكن القلب.

لم يؤلمني غيابك بقدر ما آلمني اشتياقي، لم يؤلمني هروبك بقدر ما آلمني بحثي المتواصل عنك، لم يؤلمني هجرك بقدر ما آلمني وصالي.

ليتنا نعود كالسابق تبارزني بمنطقك وأصمت أنا وأتأملك بابتسامة هادئة لا يعرف سببها سواي.

حمقاء أنا وأعترف بذلك، كنت حمقاء للحد الذي يُبعدك عني ولكني بريئة من اتهامك، بريئة أنا باكتفائي بوجودك المادي حتى وإن أذنبت فلقد قضيت عقوبتي، لقد تألمت بما يكفي ويفيض، هجرك يؤلمني، غيابك يؤلمني، اشتياقي يؤلمني وحتى وصالي يؤلمني، ألم يكف كل ذلك للصفح؟!

فلتصفح وتعود، فلننهي الحرب القائمة بيننا، فلينتهي كل شيء إلا حبنا، رجاءً عُد وسامحني وسأسامحك على ذلك الهجر.

إنني لا أعبأ بأن تعود نادمًا أو معتذرًا، لا تهمني حالتك بقدر ما تهمني عودتك.

حبيبتك الحمقاء

❄ ❄ ❄

عزيزي

كيف حالك!

يثيرني الفضول كثيرًا لمعرفة كيف حالك الآن، أريد معرفة كيف حالك أثناء تنفيذ قرارك المتهور، هل تشعر أنك بخير أثناء استنزاف روحي أم تسيطر عليك مشاعر الوحدة والندم؟! هل تكتب لي الرسائل أيضا لتبث لي شوقك وآلامك أم تخليت عني وطردتني من داخلك إلى الأبد؟

قد أخبرك بشيء وأنا أعلم أنه درب من دروب الجنون أن أفعله ولكني حقًا أتمنى ألا تكون بخير، أتمنى لو أن الفراق يؤلمك كما يكويني، وأن البعاد يخنقك كما يقتلني وأن الهجر يؤرقك كما يؤلم روحي لا أريد أن تشعر بالكمال من دوني أتمنى لو أنك تفتقدني.

هل يمنعك ندمك من العودة هل تخشى رفضي؟!

فقط عُد.. عُد ولن ألومك على الفراق، عُد ولا تهجرني، عُد وأخبرني أن الحياة من دوني مستحيلة، فالحياة من دونك غير محتملة.

أشتاق كثيرًا لنطق اسمك بالعلن والاستماع لاسمي منك.

تمر الأيام متشابهة وكأنك أنت وحدك سر الاختلاف، منذ غيابك وأنا ناقصة، وحيدة وعاجزة عن مواجهة العالم بمفردي، أصبحت كطفلة ضلت يد أبيها في الزحام فتشابهت عليها الوجوه وتوحشت عليها الطرقات.

لم أكن أعلم أن العالم من دونك مرعبًا، كانت أولى اصطداماتي بالخارج مفزعة، تتكاثر الأصوات، ضجيج يصم الآذان وحتى أكثر أماكننا ألفة لم ألفها من دونك، كانت كئيبة ووحيدة مثلي، كانت تسأل عنك مثلما أفعل، لا أعلم إن كان العالم سيئًا من البداية أو أنه يثور لغيابك.

لأول مرة أتأمل في الكون بتلك النظرة، لأول مرة أفكر في السبب وراء كل شيء، السبب وراء بكاء طفل على الرغم من التصاقه بأمه والسر وراء ذبول عين امرأة تمسك بيد زوجها أمام البشر، ألم يكن الذبول نتيجة الهجر والفراق أم هل تركها حبيبها مثلما فعلت فتزوجت من آخر أطفأ آخر ضوء كان يضيئ عينيها؟!

هل تتشابه مصائرنا وأُصبح مكانها يومًا ما، هل يطول غيابك فأيأس وأقبل أن يكون رجل سواك بجانبي، هل أترك لبصمات أحد غيرك أن تُطبع على يدي؟!

كم أحتاجك الآن، كم أحتاج إلى عودتك ومناقشتك وإخمادك لنيران خوفي التي تنهشني، كم أرغب في الوصول إليك، كم أشتاق لماضي يجمعنا!!

ليتني أقوى على قتل الفراق وإخفاء الألم وإنهاء المأساة، ليتك تعود.

إلى الحياة التي لم تحن على أمثالي ولم أَتق إليها

تذكرتُ اليوم أنّه ذكرى تخرّجي الخامسة، لم أرِد أن أجلس في مكاني بهدوء كما اعتدت، أردته يومًا مختلفًا، يخلق البهجة بقلب ملاك الرحمة بداخلي وينشّط باعث الاستمرار. دلفت المطبخ لأصنع كعك الشيكولاتة الفاخر، بدت الحرارة قاسية بالمطبخ، فتساقطت بضع قطرات العرق من على جبيني واختلطت بأنفاسي المتواثبة. صوت صريخ الرصاص كان أعلى من صوت خافق البيض، طلقات متتابعة تُشبه عويل سيدة فقدت جميع أبنائها حتى من برحمها!!

طفل أراد الحصول على إحدى آخر الألعاب التي بيعت بعد أن جمّع ثمنها، أو مراهق سهر ليالٍ لنيل رضا فتاة فوبخته بقسوة، أو أرواح عانت من الحروب والعويل فصمتت، التهيتُ في الكعك حتى أنهيته، تذوقت ما تبقى منه على أحد أصابعي وتلذذت بمزاق السائل الحلو،

نكهة الشوكولا كانت قوية، مُثيرة اللون بلمعانها. أفرغتُ السائل بقالب الكعك، انتهزت فرصة فترة نضوجه واتّجهت لغرفتي. سريري صغير إلّا أنّه يحمل عالمًا كبيرًا، يحملني. أغمضتُ عيني، ومازالت جبهتي ندية، ووسادتي بأحضاني، وصوت الرصاص مدوٍ ووقع دهس القوات كتوطئة النمل بالخارج.

غفلتْ عيني لبضعة دقائق، رأيتني أسبح في نهر من الشوكولا البيضاء، وقطع السكاكر مرماة حولي بكل مكان كالوسادات، ورأيت شلال أحمر من الشراب يشبه الدماء، كنت أتحرك بسلاسة وسهولة وبخفة بنات العشرين، كنت أرقص بداخل النهر. فزعت من غفوتي بسبب صوت رجل يتشاهد بصوت عالٍ، وتلاه أصوات صياح وضجيج، نساء.. أطفال.. شباب.. أناس تستنجد، تطلب الغوث والرحمة، أرماهم أحد الشباب الثائرين بطوب مشاكسة أم أنهم سئموا من صمتنا فقرروا شعل الحماس؟!

فُزعت من شدة وقوة عويلهم، نفضتُ الوسادة عنّي، ارتديتُ معطفي الأبيض، تأكدت من تواجد أدوات الإسعافات الأولية خاصتي

بحقيبتها، وضعت الغطاء على شعري، تركتُ الكعك بالفرن، وهرولت إلى الخارج لأنقذ آخر ما تبقى من عويل، ما إن خرجت من الباب ووجدت جثثًا بكل مكان حولي، عن يميني وعن يساري، سارت الرعشة بأوصالي، زادت خفقات قلبي، بدا وكأنه خطر أكبر مما توقعت، بدا الأمر أشرس من كل مرة، بدأت بأول جريح أمامي، ضمدت جراحه ومسحت دماءه السائلة من كل مكان بجسده، حاولت مساعدته على النهوض وساعدني أقرانه في حمله إلى منزلي. خرجتُ لأسعف ما تبقى من أنفاسٍ مرة أخرى، وجدتها فتاة بعمر العاشرة تقريبًا، احتضنت يداها قطعة شوكولا من نوعي المفضل، كانت رأسها تنزف، مصابة بطلقة بالجبين، فلن تستطيع أن تذوق قطعتها من الشوكولا أبدًا، زادت رعشتي، استخدمت أصابع يدي كي أغطي وجهها الملائكي، غطيت وجهها بوشاحي. شعرتُ بقطرات العرق تتزايد مع تزايد هرولتي وتزايد سرعة صوت الرصاصات حولي، نزفت عيني قطرات الدموع فاختلطت بملوحة عرقي في تصادم حتميّ. كنت أسارع الرصاصات، أرجو صاعقة من السماء توقفها، أترجى الأسلحة

أن تمهلني بعض الدقائق حتى أتحرك أسرع، أتوسل الزمن بأن يتوقف فقط بضعة ثواني كي أنقذ دُمية أخرى، عشاء آخر، دراجة أخرى، رجل فضاء آخر، خاتم خطبة آخر، أو حتى قالب شوكولا آخر!!

لم أحلم إلّا بأن أستكشف العالم، إلّا أنّي صرتُ أستكشف الجروح والقرح. تمنيت السفر عبر البلدان إلّا أنني صرتُ أترحل بين جثة والأخرى.

زاد الهرج والمرج بسرعة الصاروخ، وجدت الجميع يجري من حولي، حاملين أحدهم، ينزف من بطنه، اتجهت ورائهم وصرخت بصوت متهدج، "أنا ممرضة أدخلوه منزلي بسرعة"، فسمعًا وإجابًة. اتجهت خلفهم وأدرتُ ظهري للشارع وللرصاصات، سمعتُ صوت رصاصة بالقرب منّي، تلفتُ حولي لأحمل الساقط، إلا أنّي لم أر أي مصاب، نظرتُ خلفي فوجدت سلاحًا محمولًا باتجاهي، ظننتُ أنّه يشرع في الإطلاق، إلا أنه ظل متسمرًا وناظرًا إليّ وكأنّه ينتظر مشهد أخير بالفيلم، تعجبتُ منه، أدرت ظهري له متوجهة إلى عملي، شعرت

بهواء شديد داخل ظهري، طارت قطرات العرق من على جبيني وقلت دقات قلبي المتعجلة، فلتت المعدات من أصابعي فاستسلمتُ للسقوط، للرحيل، لنهر الشوكولا البيضاء وشلال الكرز الأحمر بحلمي....

إذا أردتَ أن تصمد للحياةَ فلا تأخذها على أنها مأساة.

توفيق الحكيم

إليك أيها العزيز.. عمر، أُهدي كلماتي

الأمر مؤرق للغاية.

كونك الاسم الأكبر، المركز الأعلى، المنصب الأعظم، يشبه كوابيس العناكب الضخمة التي تبدأ باقتلاع العيون ثم تشرع في مضغ بقية فريستها. يتحرك الملايين بإشارة من إصبعي، تُدك بلاد بأمر منّي أنا، وينتهي العالم بقرار واحدٌ منّي. يظنّ الناس أنني تحصلت على مكاني هذا بين ليلة وضُحاها، لا يعلمون كم المعاناة التي عاصرتها كل ليلة من ليال أعوامي الخمسون، سنٌ مثالي لنيل كل شيء وفعل أي شيء، فقط مادُمت تملك السلطة والمال. كُلما خطت أصابعي حرف تذكرت ذلك اليوم الغريب، عندما تعرضت للتوبيخ القاسي من أحد أساتذتي بمدرستي الابتدائية بحجة أنني عدوانيّ الميول ومُنحرف عن الفضيلة، كان ذنبي الوحيد أنني أجبتُ "بالقوة والمراوغة"، عندما وجّه لي سؤاله، ماذا ستفعل لتحصل على منصب قائد الفصل؟

لم يراودني الشعور بالذنب ولو للحظة، لم أشعر بالإثم لثوانٍ، كُنت أكرر إجابتي حتى بمحاولته ضربي بعصاته الخشبية عدة مرات على ظهري يدايّ وباطنيها عندما رفضتُ أن أحيد عن إجابتي. لم يسمع تفسيري يا عُمر.. حتّى أنّه لم ينتظر لساني حتى يبرر. فقط ردد سؤاله وكُنت أردد إجابتي على نفس المنوال، ولم أستعطفه ولم يستوضحني، يومها عُدت منزلي ويداي متورمتان، لكنّي لم أبكِ بحرقة كالأطفال ولم أطلب تقبيل أمّي، فقط عُدت غسلت يداي جيدًا بالماء وغسلتُ عقلي من أي تزعزعات عن فكرتي واستوطنتُ سريري، واحتلت أحلام السلطان والإمارة ليلي، ومن يومها كُنت أسدد خطاي نحو ذلك العرش، وها أنا ذا، ترن كلمات ذلك اليوم ببالي لتُأكد لي كل لحظة أنني على حق. كُنت أدفن كل هاجس يخبرني بأن كل ظالم نهايته ظلمات، كما قال ذلك الأستاذ، فأمر الخداع والمرواغة في سبيل الوصول هيّن، إلّا أنّ أنفاس الضحايا خلفك قد تثير بعض المتاعب، فلا بأس بالمزيد من القوة والسيطرة. يرددون اسمك دومًا يا عُمر.. قبل وحتى بعد أن وصلت لذلك الكرسي وأنا مازلت أسمع اسمك يتردد بين الرعايا، سُخفاء

حقًا، لا يدركون أنَّ لكل زمان آذان، وأنّ بغير منهجي سيصل الدمار لبيوتهم قبل ما يستطيع النمل الوصول للسكر. لا أود أن تظهر كلماتي كنموذج تبرير، فأنا لم أندم قط على أي قرار قط ولم يخدعني عقلي يومًا، حتى عندما سالت دماء ويُتم أطفال، كُنت أعلم أنّي على حق، أبني مستقبلًا مُشرقًا، أحمي أجيالًا قادمة، إنني الصواب وكل ما غير كلامي خطأ.

بحقك يا عُمر، أتظنّ يومًا بأن حماية البلاد أمرًا سيئًا، أو أنّه بذلك اليسر على أمثالنا؟!

دعك من هذا وذلك، فهدف رسالتي واحد فقط، أكتب إليك لأعلمك أنّ الرعايا أحياء وأنّ البلاد بخير. كلما تخيلّت ماتبقى لي من حياتي من دونك أستشعر البُغض بعينه، وكأنّ اليوم من دونك يشبه الماء، دون نكهة.

❋ ❋ ❋

ما الإنسان إلا حلم، الإنسان لا يعود إنساناً إذا مات في قلبه الحلم!

إبراهيم الكوني

والدي العزيز....

قررت الابتعاد واللجوء إلى مكان آخر يحميني منك ومن أفكار مجتمعك التي تكبلني. أعتذر عن الابتعاد بتلك الطريقة، والفراق من دون وداع، ولكن لم أجد سبيلًا آخر للحفاظ على روحي من الانهيار. سامحني ولكني شعرت أنك تقتلع روحي وأنت تأمرني بالابتعاد عن "الباليه"، شعرت كأنك تسرق مجهود السنين مني وتمحي ماضيّ دون رحمة، وأنا لن أقدر، لن أستطيع أن أفعل.

لن أقوى على الابتعاد عن أسباب وجودي في الحياة لأنك تخاف المواجهة، لأنك ساقط في أفكار جدودك وغارق في تقاليد مجتمعك وأنا أقدرك.. أقدر أنك أنت أيضًا لن تقوى على محاربة أفكار أبناء جيلك وأعلم أنك لم تشعر بما يبعثه الباليه من سلام إلى داخلي. أنت لم تتحرر مثلما تحررت ولم تتحد الجاذبية مثلما فعلت ولم يساندك مشط قدمك مثلما يرفعني بثقة ولم يخذلني يومًا. تمنيت لو أنك فعلت أيضًا، تمنيت لو

ظللت بجانبي ومعي مثل الماضي حين كنت تؤمن بي وتصدقني، حين وضعتني على أولى خطوات التحرر ولا أعلم سبب انحراف مسارك فيما بعد!!

اغفر لي يا أبي هروبي من جحيم تقاليدك وأنا سأغفر لك محاولتك لإعدامي. ثق بأنني أنا أيضًا لم أرغب في الابتعاد عنك ولو ثانية ولم أتمن أن تطول المسافات بيننا لدرجة أن تضل طريقي، وددت لو رأيتك دائمًا في أولى صفوف الجماهير بل حتى وإن كنت جمهوري الوحيد، صَدِّق أنه يكفيني، ولكن الأمر تخطى كل شيء.

تطورت الأحداث سريعًا وأصبحتُ أمام أمرين، اختيار أحدهما سيجعلني خاسرة دون شك، إن اخترتك أنت وتركت الباليه ستنمو بداخلي مشاعر الكره والحقد تجاهك وأنا أبدًا لا أريد أن أكنّ لك شيئًا من تلك المشاعر. سأبتعد وأنا أختزن صورتك في ذاكرتي وأنت تصفق يديك بحماسة بعد أن أُنهي عرضي، سأبتعد وأنا أحفظك بداخلي، إنك أنت الحر الأبيّ الذي يثور على كل ما يقيده، سأبتعد لأني أريدك قريبًا من

روحي وعقلي، صدقني لم أجد سبيلًا آخر للحفاظ على كلينا. قد يكون هناك عودة ولقاء آخر يجمعنا بعد أن ضللنا طريق بعضنا البعض وإلى هذا اللقاء أرجو أن تسامحني، سامحني يا بطلي الأول.

ابنتك المحبة

أرجوحة الحياة لا تحمل راكبها إلى أبعد من طرفيها:

المأساة والمسخرة.

مريد البرغوثي

رسالة إلى....

لا أعلم إلى من قد تكون، إلى مجهول أو إلى الجميع أو إلى نفسي.

لم أهتم يومًا بكتابة الرسائل لأهتم بتحديد وجهتها، لم أقنع بالحروف يومًا ولم ألجأ إليها لحظة، كنت رجل الأرقام أفنيت عمري في الحسابات، زوائد نواقص، قسمة وضرب، تارة أكون أنا الضارب وأخرى أكون المقسوم، ولم أعبأ بشيء سوى أرقامي، كنت أستعرض قوتي العقلية للتلاعب بالأرقام كساحر متقن لسحره، أُبهر الجميع ببراعتي وكنت أعشق تلك النظرة المبهورة من فطتني، ولم أكتف، أعود لأنكب على أوراقي وأرقامي أطور وأطور من نفسي لأحظى ببعض النظرات المبهورة والأنفاس المكتومة إثر الدهشة.

سقط من سقط ورحل من أراد ولم أهتم، لم أتشبث بأحد إلا أرقامي وحساباتي، وعملي أفنيت عمري به، جحوظ عيني يشهد على مجهودي ووحدتي خير شاهد على إخلاصي حتى انقلبت الموازين وأتممت عقدي

السادس وحين وصلته أخبروني ببرود أن رحلتي انتهت هنا وها قد وصلت محطتك يجب عليك الهبوط من القطار لإتاحة فرص إلى الآخرين، تخلى عني من تخليت عن الجميع من أجله، تخلوا عني في حادثة تُشبه خيل الحكومة وكأن رأسي اللامعة تحولت إلى مكينة متصدأة ولكني أجزم وأقسم بأغلظ الأيمان أن رأسي مازالت تعمل ووصولي للستين لا يعتبر نهايتها ومازالت الأرقام بجبروتها تخضع أمام عبقريتي، كدت أصرخ بهم جميعًا، وددت لو أخبرتهم أنني أنا هو الشخص ذاته الذي التمعت عيناكم ببريق ذكائه ولكني لم أصرخ وأحد لم يسمع، وأجبروني على الرحيل فلم أناضل ولم أثُر، ودَّعوني بابتسامات زائفة وبوداع بارد لم أنتظره فرحلت.. رحلت هكذا بهدوء، لم يتناسب مع ضجيج الأرقام الثائرة في رأسي ولا بالثورة العارمة في روحي وعُدت إلى وحدتي فارغًا تمامًا من كل شيء، حتى أرقامي تخلت عني فالتجأتُ إلى الأحرف لعلها تشفيني، قررت أن أشكوها همي وأن أُضحى بما تبقى من عمري معها إما قارئ أو كاتب وتخليت عن دور الضارب أو

المقسوم، تلك اللحظة شعرت بأنني أخطأت.. أخطأت في الاقتراب من كل ما هو زائل وابتعدت عن كل ما هو باقٍ.

منذ تقاعدي وأنا أحيا بين الكلمات واكتشفت أن الجميع يكتب ليصرخ صرخات لن يسمعها العالم لكن طنينها يصل إلى قلوب كل من يحيا على الأرض، قرأت صرخات عاشق فتردد صداها بداخلي مداعبًا ذاكرتي مستعرضًا صورة زوجتى وحبنا الذي بدأ بانبهارها ومن ثم اعتادته، فلم تعد تنبهر، تذكرت ذلك اليوم الذي صرخت فيه بوجهها متهمها بعدم تقديرها لي ولكن الواقع أني أنا من لم أقدرها وأضعتها.

وقرأت لمن يصرخ ألمًا فشعرت بآلام عظامي المتيبسة وكأنها تستجيب لندائه وتصرخ مع صراخه، وقرأت لمن يشكو الفراق ومن يعاني الخذلان ومن يتجرع المرارة، جميعهم كانوا يصرخون وجميعهم اجتمعوا على أن الأحرف تفهم أكثر من البشر وأن الورق يشعر أكثر من أبناء آدم.

وقررت أن أتهور، أن أفعل، أن أشترك معهم في الصراخ وأشارك خذلاني لأوراقي وأملأ وحدتي بكلماتي لعلها تصيب، لعلي أترك أثرًا في مكان آخر.

ولن أخفي عليك يا من تقرأ أنني وقعت في حيرة قاتلة قبل أن أُقدم على تلك الخطوة، كنت أكتفي بأن أقرأ وأتحمس بكلمات الآخرين، أثور معهم وأهدأ معهم، ولكن هناك قوة أكبر دفعتني، قوة جعلتني أمسك بقلم وورقة وأكتب.

أعلم أنه من الجنون أن يشعر من تخط الستين من عمره بتفجير شرايين الأمل في داخله ولكن الكتابة فعلت والقلم الذي يتراقص إثر رعشة يدي المتوترة بحماس، يشهد.

إليك أيها المجهول الذي يعثر على تلك الكلمات يومًا، قد أكون انتهيت وقتها، قد أتعفن في منزلي دون أن يعرف أحد فأنا زواري محدودين ومؤقتين غير دائمين ولكني أتشبث بذلك الأمل الذي يُغذي شرايين قلبي بالحياة وتلك القوة التي تدفعني للتصديق بأن أحدهم سيعثر على كلماتي.

أرجوك حين تجدها خلّدني، انشر تلك الكلمات لأعيش بقلوب البعض وأعلق بأذهان آخرين وأن ترسل كافة خطاباتي ورسائلي

الخجولة إلى زوجتي التي لم أخبرها يومًا عن حبي إلا في رسائل آخر العمر، أرجوك خلّدني بذكراها، لا أريد أن أنتهي وتنتهي عقودي الست دون أثر، أريد أن أحيا حياة أخرى في وجدان الآخرين.

المرسل: رجل ضل طريقه.

إلى من سيقرأ....

حانوتي، هكذا يُطلقون عليّ منذ زمن.

رُبما ذلك اسم وظيفة وليس اسم عائلة، لكن اعتاد الناس عليه، فأصبح اسم والدي عشماوي واسمي من بعده عشماوي ويسمون أطفالي ولاد عشماوي حتى يكبر كل منهم ويمارس وظيفة العائلة الوحيدة، "تُربجي".

لا أدري من سيقرأ كلماتي تلك، إلّا أنّي شعرتُ أنّ أحدًا ما سيفعل، إن لم يكن اليوم فالغد وإن لم يكن الغد فيومًا ما.. منذ طفولتي والجميع وصمني بالموت، حتى أنّي أظن أنّ من سيقرأ تلك الأحرف سيشتم رائحة الموت والتراب، رُبما هي رائحة يداي التي تحمل الجثث كل يوم، أو كل ساعة إن أردتُ الدقة. عاش ومات أهلي في المقابر وأعيش في المقابر وسأموت فيها، ذلك هو "سلو" عائلتنا، دخلنا المقابر منذ ٥٠ سنة ولن يخرج منّا أحدٌ منها حتى الموت. الموت.. رفيقي الوحيد ورب عملي منذ وُلدتُ، أتعجب كل يوم من نظرات الفزع في عيون البشر،

ينظرون للتراب بعين صغيرة وكأنّهم يتدارون منه، يخشون الحملقة فيه حتى لا يرون مصيرهم الحتمي، كأنهم يتجرعون الدنيا بدل الخمر، يتيهون في أرضها وبالنهاية يُحملون إليّ، هنا، على الأعناق، تاركين خلفهم أطفال وأموال وأحلام.

في بداية الأمر كُنت أنظر لأبي بشيء من العجب، كيف يستطيع حمل جسد إنسان إلى التراب، ثم يخرج من غرفة الميتين ويقوم بتغطيتها بالماء والتراب، حتى لا تخرج أي ريح ينمُ عن وجود بقايا أعوام وخطط. في العاشرة من سنيني، كان يخاطبني، "تعالى يا ولّا، ركز فيما أفعل جيدًا حتى تصبح عيّل ناصح فيما بعد"، وكانت أمى ترد عليه بدلًا منّي، "سيصير أشطر منّك ولكن دعه يلعب الآن". كبرتُ وصرتُ أُحسن عملي، والعائلات تشهد لي ولعائلتي بالأمانة والعفة، فنحن نحافظ على مقابر عائلاتهم منذ سنين، ولم يُكشف عنّا يومًا أنّ أحدًا منّا قام بنبش مقابر. صرتُ آلف النهايات ولا أخشاها مثل الطبيعيين، بل بالعكس، قد مارستُ ومارست عائلتي تلك المهنة منذ سنوات وجميعنا آلفنا الموت، رائحته، سرعته، خشية الناس منه وغفلتهم عنه إلّا أنّي غير بقية

البشر، أنا أتحمس للقاء الموت، أودّ تجربة ذلك النفق المظلم الذي يخشاه الكل، أودّ أن أرتمي بمياه ذلك البحر العميق التي عشتُ أرتزق منه وعاش أهلي عليه. فقد حيينا بموت الآخرين، وحينما نموت سيحيا آخرون بنا. لكن السؤال الذي يتردد دومًا ببالي، هل الموت مخيف حقًا؟ أم أنّ البشر يخافون فجأته؟ أأنا لا أخافه حقًا؟ أم أنّه صار صديقي؟ صديقي الذي لم أقابله في حياتي قط، إلّا أنّي لن أحيا إلا بوجود الموت!!

❋ ❋ ❋

الزمانُ مكانٌ سائلٌ، والمكانُ زمانٌ متجمّد.

جوته

إلى عائلتي....

أكتُب إليكم لأطمئنكم على أحوالي هُنا.

لا تقلقوا، فأنا بخير، آكُل وأشرب وأتنفس، لا ينقصني شيء إطلاقًا.. إلا وجودي حولكم، افتقدتكم للغاية. أعِدّ الأيام لأصل إليكم، أحلم كل ليلة باستقبالكم لي، وبوجه حبيبتي عند ضمتي الأولى لها، عندما ينتهي عملي هُنا.

في الحقيقة كُنت أودُ أنّ أخبركم بآخر أخبارنا مع العدو، إلّا أنّ أحد زمائلي الذي يصحح لي أخطائي اللغوية برسائلي نبهنّي لخطورة ذلك، قال لي إنّ هذا سيكون بمثابة خيانة لأفراد جيشنا وقيادته، لإنني سأفضح أسراره أمام الناس، حتى وإن كان هؤلاء الناس هم أفراد عائلتي وحبيبتي.

أحبائي.. اليوم كانت ساعاته طويلة للغاية، وكانت مشاعري وفيرة للغاية، برغم أنني دوري الهزيل بين تلك الجموع الغفيرة إلّا أنني شعرتُ للمرة الأولى أنني أتمّلك من أرواح بشر!

اليوم تذكّرتُ كلماتك يا أبي وكانت ترّن في أذني وكإنني أسمعها للمرة الأولى، "إن خيّروك بين ظلمك وظلمهم فاختر نومك الهانئ"، ياليتني علمتُ مسبقًا أنّ الأمر ليس بتلك السهولة، وأنّ الواقع ليس كطبخة لذيذة تُعد باتباع مجموعة من الخطوات وإضافة بعض المكونات. احتجتُ حُضنك اليوم يا أمي للغاية، شعرتُ أنني عُدت عشرة سنوات للخلف، عندما كان أي خطب يدوب بين ذراعيكِ يا أمّي، حينما كُنت أبكي دون خجل.

يا إلهي كم أنّ الوضع صعب، بل معقد حينما وجدت بأحد الاختبارات، لم أكن أعلم أي الطرق أصحّ، كُنت مضطربًا في الأساس عن مرمى الصحيح. أهو ما يمليه علي واجب الوطن؟ أمّ مايقوله لي قلبي؟!

أأدافع عن وطني بكل الطرق الممكنة؟ أم أُحكِّم ضميري قبل انطلاق أي رصاصة تخرج من سلاحي؟ أأنصُر بلادي من أجل رفعة شأن وطني؟ أم أحمي أرواح أبرياء ومستضعفين؟

فلتنجدني دعواتكم مما عالق أنا فيه.

أريد العودة، أريد النوم، أريد السلام.

إلى أمي الغائبة....

أعتذر عن تركي ليديك وعدم تشبثي بها، لقد تشابهت الأيدي وضللتُ الطريق.

الكثير من المارة والعديد من النساء والمئات من الأيدي ولكن لا توجد واحدة منهن تحمل دفء يديك.

أعلم أنني المخطئ وأنني طاوعت فضولي وابتعدت عنك، ظننت أن العالم يستحق المغامرة والابتعاد عن يديك التي ظننت أنها تُكبلني وتُبعدني عن اكتشاف المتع البعيدة والأنوار الملونة.

صغير أنا يا أمي، قليل حيلة، لا يملك حتى رفاهية تذكر العودة إلى الديار، تفيض الدموع من عيني وأصرخ كما لم أفعل من قبل.. أصرخ بكل ما أوتيت من قوة، أصرخ لعلي أجدك مهرولة تجاهي كما اعتدت، كما كنا في الأمس القريب حين أبكي فتخبئيني في أحضانك قبل معرفة سبب بكائي، أبكي لعل ترددات صوتي تصلك وتتوصلي إليّ أو لعل

دموعنا تتقابل فنطمئن. جديني يا أمي وأعيديني إلى منزلي وأعدك أن تكون هي تلك المرة الأخيرة التي أبتعد فيها عنكِ، لن أبتعد ثانية، لن أترك يديك ما حييت. أعلم أنني طفل سخيف، سريع الغضب، كثير البكاء ومفرط الحركة، ولكنك وحدك تتقبليني، وحدك قادرة على أن تمحي همي وبث الأمان في داخلي، عودي وسأقتل فضولي المتسبب في كل تلك المأساة، أعدك سأصبح هادئًا ومطيعًا، لكن أرجوكِ عودي فلم أعد أستطيع مواجهة هذا الظلام وحدي.

❋ ❋ ❋

كيف لأنه لو متر، بالتأكيد سوف لن يستطيع ربما.

آينشتاين

إلى روحي الساكنة في أرض بعيدة....

إلى ذكريات طفولتي ومراهقتي وأول شبابي، إلى أماكن شكَّلت وجداني ورائحة الأمان بداخلي، إلى عمري الفائت في دولة بعيدة بات الوصول لها مستحيلًا بعد دفني في غربة تُدعى الوطن.

إلى بلد احتوتني حين نبذني الوطن وبخل عليَّ بأمانه وحبه، حين استكبر أن يأويني وسلب مني سبل الحياة، إلى وطن لم أحمل جنسيته وجنسية لم تحيي الوطنية بداخلي ،قد حان الوقت الآن لنعدل مفاهيم الغربة، تلك الكلمة ذات الأثر المدمر على النفس، ذلك المصطلح الذي يحول أصحابه إلى ضحايا، حان الوقت لنسلط الضوء على الدولة المستقبلية بدلًا من نعتها بالظالمة.

(الوطن والوطنية).. أشياء نسبية لا يوجد لها تعريف صريح حتى وإن أجمع الجميع على أنَّ هجر الوطن غربة، لن يكون هو التعريف الصحيح للغربة. الغربة هي غربة الروح وأنا غريب في وطني. تشوهت

صورة الوطن الزاهية التي اختزلتها في غربتي لأزداد غربة فوق الغربة وألمًا فوق الآلام وأدركت حينها أني الخاسر.

تلك اللحظة التي أدركت فيها أنني في البداية ثانية، سأعيد كل الخطوات الفائتة من جديد، سأشرع في خلق ذكريات وسأحب الوطن على شاكلته الجديدة وأنتمي لشوارع اختفت معالمها وطمس الحزن على جدرانها وأحب بشرًا تحولوا إلى أشباه بشر بأنصاف أرواح وهرولة دائمة للحاق بحلم أو الحفاظ على مصطلح الستر.

تلك المرة التي أدركت فيها حقيقة عجزي في البداية من جديد وانتهت فرصتي في زيارة ذكرياتي السابقة، انتصفت إلى اثنين جسد بلا روح وروح بلا جسد، كنت أنا وروحي متنافرين وانتهى عهد الوئام والمصالحة، أدركت الحقيقة المتأخرة التي غفل عنها الجميع.

وشعرت بأني مسئول عن تصليح المفاهيم والمعتقدات التي يرددها الجميع دون فهم. الغربة ليست قاتلة الغربة عادلة والوطن ليس وطنًا مادام يعاملك بعنصرية وليس وطنًا مادام يدهسك تحت مسمى الوطنية

ويقسو عليك تحت شعار أنك ابن الوطن البار. الغربة صادقة وحنونة أكثر من تلك الأوطان المزيفة الناكرة، الطاردة.

لم أكن مغتربًا ولكني أصبحت غريبًا.

أحبها حتى اقتنعت.

أحمد الديب

إلى حبيبتي....

كُنت أتمنى لو تمتلكين نفس شجاعة قلبي وعنفوان أفكاري كما أمتلكهما، كُنّا لأصبحنا حبيبين أسعد وأقرب. كيف لكِ أنّ تُحكّمي الناس في كل ماهو ليس من حقوقهم، كلما طلبتُ منكِ الزواج تمنّعتي بحجة "ماذا سيقول الناس؟"، يا عجوزي الشقراء، أنا لا أعبأ.

لا أعبأ إلا بوجودك جانبي كلّما استيقظت، لأرى وجهك وأدرك أنّ الجيران لن يشتمون ريحي بعد أنّ أموت وحدي، لا أهتم إلا برؤية وجهك الباسم وإن كان صفّي أسنانك هاجر منّه السكّان جميعًا عدا ثلاثة أو أربعة أوفياء، لا أفكّر بغير ما تبقى لنا من سنين، رُبما هم ثلاثة أو أقل، لا أعلم تحديدًا، إلّا أنني أود مكوثهم بجانبك، بأحضانك التي تألمت من قلة الزائرين، ولسانك الذي جفّ من عدم الكلام.

سأخبرك سرًا، كُنت أنتظرك كل ليلة كي تخرجي إلى الشرفة، تراقبين المارّة بالشارع، وأتأمل أنا جمال الخالق بتخفٍ من شباك غرفتي. أرى انكماشات يديكِ البيضاء وألاحظ رعشة أطرافك الطفيفة بفعل

السكّري، أراقب عينيكِ وهما يغيبان عن الوجود لبعض اللحظات، ليستفيقوا بفعل قرس الرياح بالبالكون، لتخرج بضع خصلات شعرك الضعيفة من أسر ضفائرك، فأنعمُ أنا بنوم هانئ. تغيّرت حالتي الصحية وقال الطبيب إنّه يمكنني أن أقلل من جرعة دوائي، صرت أمشّط تلك الشعريات الواقفة بصلعتي، صرتُ أقف أمام المرآة وكأنني مراهق بالغ. أدركتُ معنى تلك المشاعر متأخرًا، فأنا أؤمن بأن الحب يأتي مرةً واحدة، قد يأتيك صبي، أو يأتيك وأنت مراهق، أو يأتيك وأنت شائب، إلّا أنّه حتمًا سيأتي في يوم ما.

أرجوكِ يا عجوزي الصغير، وافقي على طلبي للمرة الألف، فأنا عجوز أخشى ظلام الليل بقدر ما أخشى وحدته. أنا عجوز يتطلع لإرضائك ونيل شرف جوارك. فحُبنا هو مفتتح لحياة أخرى، رُبما لا تستطيعين رؤيتها بخيالك، إلا أنّي أراها بقلبي. أعاهدك أن أُبقى على ما بيننا لآخر عمري. أتوسل لكِ بكل ما تبقى لي من قوة أن تبقي بجانبي، فأنا لا أودُ أن أموت وحدي. لا أريد أن أنتظر الموت.

❋ ❋ ❋

لا خير في حياة يحياها المرء بغير قلب، ولا خير في قلب يخفق بغير حب.

مصطفى لطفي المنفلوطي

مساء الخير جسدي العزيز

أتمنى أن تكون بصحة جيّدة، عذرًا منّي لم أقصد أن أُطلقها بهذا الشكل.. كُنت أعني فقط أن تكون بخير.. أو على الأقل أفضل مما كُنت عليه.

أعلم بأنّ الأثقال أنهكتك وبأنّ عنفوان جسده أفزعك، غير أنّي لازلت أؤمن بأنّ الوضع سيصبح ألطف في حين، رُبما ليس اليوم ولا الغد، إلّا أن الفرار يومًا سيصل ببابي ويكتنفني لنرحل بسلام معه.

أتذكّر اليوم الأول وكأنه الآن.. حتّى أنّي مادمت أستشعر ما ألمّ بي من ألم واستنكاف، سأطلق عليه اسم "الليلة الأنبل"لا تتعجب يا عزيزي، فأنا أعتبره يوم انتصاري وليس يوم امتهاني.

أتظنّ حقًا أنني تألمت؟!

لا لم أفعل.. لم يؤلمني سحقه لي بقدر ما تؤلمني تلك التفاصيل الصغيرة، التي تنقر باب ذاكرتي بحثًا عن دموع فائضة وأملًا في إثارة مؤقتة أكون تحت رحمتها لبضع دقائق وما إن تُعلن انهزامي بهطول

دمعاتي حتى ترحل وكأن شيئًا لم يكن، وكأنّها لم تقتل أرواحًا قطنت بداخلي آلاف السنين وكأنّها لم تطلق سراح أفكار سيطرت على سلوكها حتى لا تخرّب ما تبقى منّي من روح وكأنّها لم تعرّيني أمام مرآتي فأواجه ندوبي وكدماتي.. وأصطدم بخصلات شعري وصرخاتهن بحثًا عن رفيقاتهن بالمسكن قبل أن يُحكم عليهن بالشدّ والنشل.

لِمَ كان عليَّ الصمت حينها؟ لمَ لمْ أصرخ أو أستغيث بأحدهم؟!

لكنّني فعلت.. وكلما زاد صريخي كُلما زادت ضغطاته واشتدت وطأتها ورقصت خيالاته بأنّني أنتشي.

أتذّكر أنّه بتلك الليلة رأيت جزءًا منّي لم أره من قبل، أم تظنّ أنني رأيتني وللمرة الأولى على الحقيقة. أحقًا أنا بهذا الخضوع؟ أأمتلك عرش مملكة الهوان بصدق؟

رجاءً يا عقلي ساعدني.. أريد أن أتمالك نفسي ليس إلّا.. لا أريد تلك الخيالات برأسي.. رجاءً.

لا أستطيع مواجه حقيقة أنّها ليست خيالات، وبأن ما حدث بتلك الليلة وبالليالي التي تليها هو الواقع بعينه كما لم تره عيني مسبقًا، هو نواة

الحياة والغرض من وجودي كما لم أعهم من قبل وبأن الذي أراه في المرآة الآن هو جسدي.. والذي يمتلكه ليس أنا.

زاد دجّ الوساوس بعقلي وانهالت على رأسي التذكيرات وكأن جيشًا مغوليًا اقتحم رأسي فلم يترك بها بقعة سالمة، وعشّ بأفكاري فسادًا فلم تقوْ على الصمود وتراخت أمامه.

لم أجد نفسي بحاجة لأقف أمام مرآتي لأتعرّف على أنا-ي الجديدة، الظاهرة بالسكينة المليئة بالعولة.

كشفت ملابسي عن جسدي بيداي، بكامل إرادتي، رُحت أنتزع قطعة تلو الأخرى بسكينة وهدوء، هاجمتني ذكرى جذّ ملابسي بيداه ونهش جسمي بأصابعه، وكلما ألقيت النظر على جزء بجسدي أرى كدمة أو بصمة عميقة أو جرح بسيط كان عمره بضع قطرات دم فقط.

استسلمت لذاكرتي، فإن كان العذاب عليَّ واجب فالاستسلام لديَّ سبيل، وإن كان المفر توارى، فالإذعان هو الواقع المرير.

راحت تنبش ذاكرتي فيما تبقى فيّ، أثارت كل جزء بجسدي كما لم يثره رجل من قبل، كشفت عن جفوني التي تحاوطها آثار سيل الدمعات

ولم تسدل الستار عن أظافري التي كُسرت عندما تعددت محاولاتي في إبعاده عن جسدي ولم يكن بها ذرة رحمة ولم تتوان عن تذكيري بتفاصيل الليلة الأنبل بأكملها.

دخلت غرفتنا للمرة الأولى، مغمورة بفرحة ساذجة بفكرة أكثر سذاجة بأنّ قطار عمري قد انطلق بمساره. اعتراني بعض الخجل، فالليل والغرفة المغلقة والسرير الذي جلسنا عليه لم يكن يشير بغير رهبة ما اعتصرتني. ظننت حينها بأن جميعهن مثلي، يخجلن.. يتمنعن.. ثم يبيحنّ، لم أدرك أنني لن أستطيع عبور المرحلة الأولى وبأن القطار الذي ظننته حياتي المثمرة سيقوم بدهسي في أقل من عدة ثوان. فما إن اقترب منّي وشممت ريحه حتى ابتعدت فزعةً وجلة. فزاد اقترابه وكلما حاولت الابتعاد كان يعمل على إخفاق محاولاتي. الانقضاض تبعه انتهاك واستباحة. فلم أستطع أن أكتم صريخي، كان يعتصر كل جزء بجسمي، يتحرش بكل عضو من أعضائي. سلب منّي يداي وحاوط معصميّ بأصابعه كما يحاوط السجّان أساور القيود.

أصرخ.. أستغيث.. أنتحب.. أشجي.. أتوسل.. لكن لا محالة، لم ينظر إلى عينّي الباكيتين، لم يلتفت لعويلي المستمر، ولم يتركني بسلام.

كُنت ألعن بداخلي الساعة، الشهوة، اليوم، الإنسانية، الأهل، ولعنته!، تمنّيت له الهلاك، تمنّيت له أن يُقبر حيًا كما استلّ روحي حيّة، تمنّيت لو يمنحني محاربًا سيفه أو ينقذني ملاكًا بجناحين، تمنّيت أن أرى الموت، كنت باستضافته، أتوسل إليه ليأتي، لينهي ما بدأه حفيد الساقطين. مع كل دفعة منه كنت أرتعد، وأظن أنها النهاية، فما لبث بعقلي التوهّم حتى باغته الأذى وطال الوجع جسدي، تغيبت عن العالم، رُحت أبحث عن سبب وجودي، عن ماهية وجودي، وعمّا تبقى منّي بالوجود، كلما اعتصرني الألم كلّما استحال وجهي البكاء إلى الوجوم، لا أذكر كم من الوقت لبث، بضع دقائق أو رُبما بضع سنين، لا يهم فالشجى قد لا يوصف في كليهما.

أفقت بعدها بوقت ما لا أدريه، رأيت بصيص من النور رغم أنّ جسدي كان مظلمًا، مليئًا بسواد الكدمات وببعض نقاط الدماء المتفرقة،

وبسيل من الدماء يرسم فروع أشجار على فخذاي حتى ركبتاي. كان الألم عظيمًا، لكّنه لم يكن أعظم من شعوري بالامتهان حينها.

لم أتفوه، ولم يكترث، فكلما نادته شهوته جذبني من خصلات شعري حتى ينتفهم واحدة تلو الأخرى.

زيّنت الأحزان وجهي وقاسمتها الأوجاع بدورها في جسدي، والتهمت النيران قلبي. وها هو ذا، أرى طيفه الآن من جديد، دالفًا الغرفة، باحثًا عن حقوق ما ينعتها بالشرعية، وها أنا ذا أنتظر دفعة جديدة من الإجحاف، باحثة بداخلي عن جنان تنتشلني من ألم ليلة، آملةً في يد تترفّق بي، وبقطار آخر ينتهي مطافه في التوّ واللحظة.

فالجميع ينتظر النهاية إلا أنا أنتظر بداية ما أخرى، تنتهي بها بدايتي.

❋ ❋ ❋

وإن كان أقل العشاق العرب.. أنا أقلهم في حبك هو الحب.

أحمد فؤاد نجم

ابنتي العزيزة..

اشتقتُ لكِ يا فتاة، كم أفتقد أحاديثنا وليلات سمرنا كل أسبوع. أخبريني كيف هي أحوالك؟

أترين أنني حقًا نجحتُ في الاعتناء بطفولتك؟

لا أدري لما خطر تلك السؤال ببالي، إلا أنني اليوم كنت أعبث بغرفتك وتذكرت أنني لم أسألك يومًا هل ارتضيتيني يومًا أمًا لكِ؟ هذا حقيقي، فأنا أعبث بغرفتك منذ الصباح، رغم أنّ هذا قد يخالف ما آلفتيه من نظامي منذ صغرك، فاليوم أمك تُعلن عن اشتياقها لكِ وتفتقد تلك الفوضى التي كنتِ دومًا تُحدثينها في سنواتك الأولى.

أتتذكرين عندما كنتِ ترددين أولى حروف "أمي"، ذلك اليوم لم أستطع السيطرة على سعادتي، هرعتُ إلى محلات لعب الأطفال، ابتعت لكِ كل ما أشارت أصابعك عليه رغم كون إشاراتك عشوائية. اتصلت بجدودك كي أخبرهم النبأ العظيم وحرصت أن يسمعونكِ تنطقينها مرتين أو أكثر كي أؤكد على ذاتي أنّها الحقيقة وأنّها ليست أحلام يقظة.

وكُلّما رددتي حرفًا من حروف كلمة السحر المُحلل انطلقت غريزتي بالاستجابة وكاد قلبي يتحطم من دقات أجراسه.

عزيزتي.. أتذكرين يوم مدرستك الأول؟

آه، ياله من يوم، كنتِ تبكين وأبكي على بكائك. شعرت يومها وكأن العالم أراد بث الشرور، وأن روحي تنسل كل ثانية وأخرى. قضيت النهار بطوله أفكّر، أتأكلين؟ أنمتِ في الصف بعد بكاء دام لساعات؟ أكونتِ صداقات جديدة؟ أمازلتِ تتذكرينني؟ أتفكرين بي مثلما أفكر بكِ؟ أخطرت على بالك يا كُل بالي؟

وذلك اليوم عندما واجهتي بؤس العالم وحدك للمرة الأولى، حُب عابر، إلا أنّكِ اعتبرتيه العالم وما بعده. لم أستطع الدفاع عنكِ لم أستطع تكبيل مشاعرك ولم أستطع الوقوف أمام الناس جميعًا، فلم أرد تكوين سور يحفك ويصبح سجنًا ولم أجد المفر من أفكار السيطرة على العالم، البشر، القلوب، والمشاعر حتى لا تتأذى روحك قطّ، حتى يصبح العالم طوع إشارتك، إلّا أنني حبيبتي لم أمتلك تلك القوة الخارقة.. سامحيني.

أتذكرين يوم تخرجك؟

كان ولادتي أنا. يداي كانت تصفِّق بحرارة، عيناي كانت تصفِّق بالدمعات، وقلبي كان يصفِّق بالضربات.

أخبرت المارّين، كلّما مرّ بي أحدهم أشرتُ لكِ بالبنان، "هذه ابنتي أترونها؟.. هي التي تتخرج تلك". كان كل تفكيري منصبًا على فكرة سبيل إسعادك. كيف أجعلك آمنة هانئة، لا تشقين مما يشقى البشر منه ولا تتخطين ما يضطر البشر المرور به. فقط أردت أن أحبُك حتى ينتهي الحُب وأرضيكِ حتى لا يصبح يُرضيكِ شيء فأخلق أنا الشيء حتى ترضين. أتذكر كونك جنين بداخلي، بضع كرات الدم التي تكونت بين ليلة وضحاها، تمُر بما أمُر وتتنفس ما أتنفس، وتشعر بما أشعر، كما أنّ ذلك جنوني ومذهل في آن واحد.

أعلم أنّ كلامي قد طال عليكِ وأنّ ورق العالم كله لن يكفي أحاديثي عنك، فسامحي اختزالي وسامحي أمك على البُعد. فاليوم كانت آخر محاولاتي في أن أنتزعك من جناح الوهم إلى جناح الحقيقة. اليوم

كانت آخر محاولة في أن تكوني واقعًا أعيشه وتعيشيه، فاليوم واليوم فقط عزيزتي أخبرني الطبيب بأنّ رحمي لا يصلح لكِ بتاتًا ولا لأي جنين آخر. اليوم عزيزتي تأكدت من أنّ انتظاري طال وأن ألمي سيطول. اليوم عزيزتي أودعك دون لقاء وأقتل روحي دون بعث كُلما ذكّرتُ نفسي بأنّني لن أحتضنك يومًا، بأنّني لن أراكِ يومًا، بأنّك لن تعيشي برحمي يومًا، وبأنّكِ لن تكوني موجودة يومًا.. وبأنّني لن أسمع "أمي" أبدًا.

حبيبي.. حبيبي.. ما عاد يلمسني الحنين

فيروز

إلى.. لا أدري لمن..

هل يسعني أن أقول إلى.. إلى حبيبي؟ كما اعتدتُ أن أناديك في السابق.. أم.. أمْ أنّ تلك الكلمة لم تصبح من حقي؟

تلاقت أرواحنا اليوم صدفة، بعد ١٠ سنواتٍ كاملة، عشر سنواتٍ تبدّلت فيها أحوالنا، بحثًا عن راحة مؤقتة أو أمل زائف، رحلة قاتمة تغيّرت بها حياتي. إلّا أنّ قلبي مازال كما هو يخفق كلما يرى طيفك وتتصادم عينيّ بعينيك. لا أدري إن كُنت رأيتني ودققت في ملامحي كما فعلتُ أنا، رُبما الطفل الذي كنت تحمله منعك من رؤيتي، بدا عليه طفلك، كانت فيه الكثير من ملامحك الحادة التي كنت ومازلتُ أعشقها، فبالتأكيد حجب طفلك عنك رؤيتي كما حجبت تلك الدبلة عنك حضني.

حبيبي وعشيقي الوحيد، ملامحك اليوم كانت كما هي، لم تتغيّر إلا في أشياء طفيفة، عينيك مازالت تلمع، شعرك مازال يرجع للخلف،

ويديك مازالت تقطن جيوبك، وشفاهُك مازالت تُهزم أمام الحرارة فتصطبغ بالوردي بأيام الصيف، كما رأيتك لأول مرة في صيفنا، أتدري أنني لم أخبرك قط أنّ لون شفاهك اجتذبني نحوك. مازال هناك نصيب لك أن تعرف ذلك ومازال هناك نصيب لي أن أراك. نفس حركاتك، هي ذات مشيتك، وصوتك على سيرته الأولى، وكأنّ آلة الزمن لكمتني بقوة، وشدتني من قميصي لتلك اللحظة المليحة، عندما اصطدمت أعيننا وتوقف عالمنا للحظة، بقيت نظراتنا تتشابك لكثير من الأيام، حتى خضعنا واستسلمنا لذلك الشعور الذي يمتص جُهدنا العاطفي وقبلنا الوقوع بشباك الحُب، لم أندم يومًا على ذلك ولن أندم يومًا أيضًا، لم نكن نحسب عمرنا معًا بالأعوام، بل كنّا نحسبها بقوة مشاعرنا، بضعفنا أمام بعضنا البعض، بجلدنا وتحملنا للعواقب، وبروحنا المرحة سويًا.. يا إلهي.. سويًا؟! أقلتُ تلك الكلمة حقًا بعد كل ما مضى من أعوام وشهور وأيام؟! لم يذبل بريق تلك الكلمة بجوفي ولم يضاهيها رقة على قلبي قط. لعبت بنا الأقدار، وظننا أنّ النهاية مُحالة، وأنّ العمر لن يمُر إلا بوجودنا سويًا، وأن سهمنا واحد.

حبيبي.. كُنّا مخطئين، وقد تعثرنا، فيومك أصبح يمُر دون أن تستيقظ على صوتي كما اعتدت ذلك، وقهوتي لم تبرد من دونك، و.. وأجسادنا مازالت تحيا، مازلنا نتنفس، مازلنا نعيش، مازلنا نتحرك، ومازلنا هُنا. رُبما تلك التفاصيل الصغيرة فقط هي التي تصيب القلب بغصة مفاجئة، كونك لست هُنا هيّن، لكن إدراكي أنّك لست حولي هو ما لم يزل يقتلني كل ليلة.

كونك تحمل طفلًا ليس منّي، يقتلني، كونك تخضع لسحر غير حُبي، يقتلني، كونك تنام بجانب امرأة غيري -تنعم بك، تستيقظ على صوت أنفاسك، تشاركك وجباتك، تنظر لعينيك متى شاءت، تلمسك متى أرادت، وتقترب إلى جانبك بأي وقت- يقتلني، كونك لم تعُد حبيبي.. يقتلني.

حبيبي.. أعلم أنّ العمر قد مضى، وأنّك أنت لم تعد أنت، وأنّي أنا لم يعد حقي أنت، أعلم أنّ العالم مكان قاسٍ وموحش، وأنّ الدنيا لم تُخلق لغير الهلاك والعذاب والحسرة، أعلم أنّك لم تعُد منّي ولم أعُد منك، إلّا أنني مازلت آملة أن تقبل الأقدار طلبي ولو لمرة واحدة، مرة واحدة قبل

أن يعود كل شيء كيفما كان، وتستمر الأحوال فيما كانت عليه، وتعود أنت لعائلتك، وأعود أنا لشأني، ليلتهي كلٌ منّا ببعض الصور والأشكال والوجوه التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع.

رجاءً منك، وافق على مقابلتي للمرة الأولى والأخيرة منذ أن افترقنا، وافق على قضاء ساعة واحدة معي فقط، ساعة أدقق فيها بملامحك كإنّي أنظر إليك للمرة الأخيرة، رُبما سأستطيع نسيانك بعدها والابتداء في حياتي أو رُبما لا.. إلّا أنّي متأكدة من أنّ شيئًا ما قد يحدث، حتى وإن كان نسيانك والاستغناء عن ذكراك. فقد لا تعاملني حينها بلطف، أو تحاول معاملتي بجفاء، محاولًا إقناعي بأنّ ذلك الشخص الذي أحببته قد اختفى للأبد، رحل ولم يعُد موجودًا.

رجاءً وللمرة الأخيرة التي سأطلب منك فيها شيء، سأنتظرُك بالمكان الذي اعتدنا الالتقاء فيه أمام البحر، سأنتظرك لأقتنع أنّك.. أنّك لم تعُد حبيبي يا حبيبي.

حبيبتك الصادقة

❋ ❋ ❋

من المؤسف أننا مازلنا نلتقي بمنتصر دافعه للانتصار ليس الحب.

جابريال ماركيز

إلى مجتمعي الحبيب....

وددت كثيرًا الحديث معك يا عزيزي، ولكنك دومًا كنت تخذلني بصورة ما سأخبرك بقصة أحدهم، قد تكون قصة معلومة ومكررة وتعرفها جيدًا، ولكن أحدهم لم يواجهك بها ولم يُحملك مسئوليتها.

مجتمعي العزيز أنا فتاة لم أكن مسئولة يومًا عن جنسي أو ملامحي ولكني دومًا كنت مسئولة لأني فتاة.

الأمر يشبه الفوازير ويتطلب وقتًا للفهم فتريث قليلًا.. فيك أنت وقبل سنوات عديدة لم يكن للمرأة مكان في الحياة العامة فقط خُلقنا لنُدفن، دون هدف، حلم أو غاية، يتخلص الرجال منا بتسليمنا من بعضهم إلى بعض، يُسلم الأب ابنته لبعلها ويسلمها الآخر إلى حاصد الأرواح وينتهي بها الأمر إلى إخفاء معالم اسمها تحت المرحومة أم فلان ونعيد الكرة إلى ما لا نهاية من نساء يتم تسليمهن من واحد إلى آخر، إلى أن حدثت طفرة بك، وصرخ أحدهم بتعليم المرأة، استغرق الأمر

سنوات عديدة قد تصل إلى نصف قرن فيما أكثر. هل لك أن تتخيل أن تعليم جنس من البشر يحتاج إلى كل تلك السنوات؟ هل تفكر في كم الأجيال التي دُهست بسبب طبيعتك الشرقية!

حصلنا على بعض حقوقنا ونزل بعضنا إلى الميادين ولكن كل شيء نحصل عليه متأخرًا خطوة. التعليم متأخر، العمل متأخر، وأيضًا الثورة أو الشعور بالوطنية والانتماء يأتي متأخرًا. كل شيء نحصل عليه بصعوبة مرعبة تنتهك أرواحنا في سبيل أن نثبت حقيقة واضحة للعيان، فقط لنُثبت أننا نصف المجتمع.

أحاول الآن أن أتصور ماذا وإن أردنا أن نثبت أن المرأة ثلاث أرباع المجتمع مثلًا!!

وقتها سنُهدر ملايين السنين لنُثبت ذلك، وعلى الرغم من الأخبار السارة التي أزفها إليك الآن في حصول بعض منا على بعض حقوقه، مازال هناك حساد، أشخاص منك، متمثلين فيك، يحاربون كل من انتسب لل(ة)، ظهرت منهم تلك الفصيلة التي أرادت التسخيف بنا

وبحروبنا الباردة على مدار أعوام، ظنًا منهم أننا ننزل لميادين العمل للترفيه ليس إلا، وأن العمل من حق الرجال والفائض عن حاجتهم لا مانع من أن يسمحوا لنا به.

عزيزي المجتمع.. ألم يحن الوقت لتدافع عن نصفك الآخر؟، ألم تدق ساعة العدل في منبهك إلى الآن؟، كفتيات في مجتمع شرقي نحن لسنا بحاجة لتحمل مسئوليات إضافية، كوننا فتيات كان يكفي ويفيض لتنقسم ظهورنا من ثقل المسئوليات.

فيك أنت فقط نحن المسئولون عن جرائم القتل والاغتصاب والتحرش، ونحن الرعاة الأساسيين للحروب والفتن، ونحن المتسببون في انتشار الرذيلة، فيك أنت فقط نحن المفعول به ونحن وراء فعل الفاعل.

مازلت أحاول أن أبتلع الإهانات والكلمات التي يصنفنا بها شعب الله المختار المتمثلون في الرجال!! لن أُخفي عليك أنني تخليت عن أحلامي يأسًا في يوم ما، وحاولت التخلي عن سبل الحياة لإتاحة

الفرصة لهؤلاء الأقوياء الأذكياء. حاولت كثيرًا أن أتقبل أنني من المواطنين درجة ثانية لا يحق لي الحديث ولكني أعتذر يا مجتمعي، ثورة بداخلي تنهشني ويجب أن تصرخ.

قررت أن أراسلك اليوم لعل خطابي يكون سببًا في توعيتك بأن بداخلك قومًا لا ينهزمون ولا يفرطون في حقوقهم حتى وإن طالت الحرب وحُسمت في عدة جولات للآخرين.

أراسلك لأسألك إن كنت أنت المتسبب الحقيقي في معاناتنا أم أنك مجرد ساتر للجرائم المرتكبة في حقوقنا.

تحت أي ظرف وأي حال أتمنى أن تتنازل عن دورك السلبي الظالم وأتمنى أن تشرق شمس العدل ذات يوم عليك؛ لتطهرك من ظلام الظلم الغارق فيه.

❋ ❋ ❋

إلى أبشع الأزواج على أرض ذلك العالم....

بقيْت أرتب أفكاري لمدة ثلاث ساعات والحصيلة لا شيء. لم أجد أي جُمل قد تُعبِّر عن أفكاري أو عن شعوري تجاهك. الأمر أصعب من التعبير عن مشاعر الحُب، التي تجد فيها نفسك تسترسل الكلمات بسهولة، فماذا عن الكُره، الاشمئزاز، الضغينة، لا يوجد لهم طريق، فالوصول إليهم دون الرجوع هو التصرف الوحيد. هكذا أنا، ذهبت في طريقهم إليك، ولم أؤمن بالرجوع، وبكل نظرة إلى وجهك أرى مدى أحقيتي، ومع كل كلمة منك لي أتيقن مما بي. فسيسعني الآن وبكل راحتي أن أُخبرك، عزيزي اذهب للجحيم!

واترك شأنك كما سأفعل أنا، ولكنّي سأذهب للجنان. سأراقبك من بُعد وأرى نظرات الألم في عينيك، تلك النظرات التي كُنت أنظرها لك أنا مُنذ أن بُليت بك في حياتي. لا أحبك، كم مرّة رددت فيها تلك الكلمات، فقط اتركني، دعني وشأني، لا أريدك.. أتتذكر كم مرة قُلت

تلك الكلمات؟ أعلم أنّك لن تستطيع أن تُحصيها. فاليوم وفقط يكفي كي تتذكر أنّ هناك مرّة واحدة كانت كلماتي فيها، التي تقرأها الآن، كوقع الرصاص عليك. عندما ستقرأ تلك الكلمات سأكون أنا بخير وبحال أفضل، ليس فقط لأنّك ستعرف للمرة الألف ما هي مشاعري تجاهك، لكن أيضًا ستعلم بأنّي لم أعد هُنا، ولن يكن بوسعك التصرف معي حيال ذلك. سأكون بأحضان الرجل الوحيد الذي أحببته، يداعب خصلات شعري التي نُتفت بفعل الوجع، ويلثم على عيناي اللتين أُجهدتا من البكاء ليلًا. سأخبره كم أنا أحبه، وكم أنّ الليل كان موحشًا من دونه، سأخبره بأنّني لم أر رجلًا غيره، ذلك لأنه لا رجل غيره على وجه الأرض. سأخبره بكامل شغفي وضعفي كمّ أنني أحبه وأحب جواري له. وأتركك تلهث كما لهثتُ أنا في الماضي.

سأكون بجانبه كما اعتاد أن يكون بداخل قلبي. عشرة سنين عجاف أتذّكر ما فيها من وجع منذ بدءها وحتى اللحظة التي أكتب فيها تلك الكلمات. لحظات من الحسرة، كوني أتعذّب لبُعدي عنه، كوني لا أجدُ نفسي بين ثنايا البشر، لا أجدُ روحي، لأنّ روحي تسكن عنده. كل يوم

مرّ عليَّ وكأنه عام كامل، أقاسي فيه الليل وحيدة، أترجى الزمان أن يحوّل مساره. أتوّسل للماضي أن يعود لحظة، لحظة واحدة أقبِّل حبيبي فيها قبل أن نرى الطريق إلى يوتوبيا معًا. كُنت أتخيله معي في كل اللحظات، أخاطبه وأنا أطهو الطعام بالمطبخ، أحكي له عن اختلاجاتي وأنا أكي الملابس، وأكلّمه عن روحي الثكلى وأنا أمشط شعري بعد كل اغتسال. لقد حان الآوان أخيرًا، لأن تُنفخ الروح في أحلامي وتُبعث راحتي من مقبرتها. حان أوان الرحيل. ومن دون أن أودّعك أو أندم على ذلك لثوانٍ.

دُمت وغدًا.

❋ ❋ ❋

لا أدري بماذا أبدأ

لا أعلم ماذا أنوي أن أخبركِ حتى. حتى أنّي لا أستطيع أن أرتب الجمل وأن أنسّق الرسائل كما تفعلين أنتِ بالتأكيد. كانت تصلني رسائلك من القمر ولكنّي.. لكنّي كُنت أكتفي بأن أُجمعُها بقلبي الذي أصبح صندوقًا نحاسيًّا دون أن أتطلّع للنظر إليها أو أقرأ ما تغلفه تلك الاستنجادات. فأنا لا أريد ذلك، فأنا أستطيع أن أتوقع ما تتضمنه من كلمات، بالتأكيد أنتِ تلعني وتذمّي في اليوم الذي تعلقّتي بقلبي فيه. وبالتأكيد أيضًا أنّ غضبك عماكي عن كل اللحظات التي عايشناها سويّا. أهكذا هو حقًا الإنسان يمحي ذكريات حبيب كاملة بسبب موقف صعب مرّ عليهما؟! رُبما أنت المُخطئة أو أنّكِ لم تسمحي لي بوقتي الكافي كي أجمّع أفكاري لأخبرك ما صار وما سبب ذلك. رُبما لم تعطِني الفرصة كي أبرر فعلتي أو أوضّح نيتي. رُبما كُنت سأقول لكِ حينها كم أنت خرقاء سطحية، فقط تريدين وجودي المادي إلى جانبك، تحبين كوني دائمًا أمام ناظريكي، تتدللين لكوني تحت طوع عينيكِ

وتتغنجين لكونك المرأة الوحيدة بقلبي. ماذا كنتِ تتوقعين منّي؟ بالتأكيد توقعتي منّي الكثير، لأنّني لم أسنّكِ إلّا على ذلك، دائمًا تجدي الاهتمام قبل أن تطلبيه، ودومًا تُغلفّكِ عنايتي بكل طيبة. لكِ ماكنتِ تحلمين وبيديكِ كل ما كنتِ تأمرين. لكن ماذا عنّي؟ ماذا عنّي أنا يا باء؟ ألم تفكّري بي ولو لثوانٍ؟ ألم ينقل لكِ خاطرك يومًا شيئًا عمّا بقلبي؟ أم أكتفيتِ بما يُخبرك به عن قدر روحك بوجداني؟ ألم تستيقظي يومًا وتخطر ببالك فكرة أنني أريد شيئًا ما، أحتاج شعورًا مُعيّنًا؟ أين أنا من حساباتك يا أُنثاي الجميلة؟ أين هو عقلك وقلبك من حُبي لكِ؟ أين هي أفكارك واختلاجاتك عنّي بجوفك؟ أين أنا منكِ أنت يا آسرتي؟ فأنا لا شيء. لن أطلب منكِ السماح ولن أطلب منكِ شيئًا، فغيابي كان متوقعًا، إلّا أنّ عشقي لكِ أعماكي عن كل شيء.

استمتعي بغيابي بهدوء.

عزيزكِ ج.

❋ ❋ ❋

أتظننا سنستمر؟

- ماذا بطيفك الآن؟!

- لا عليك، حذائي يؤلمني قليلًا فقط، مجرد هذيان.

- فلتبقيه خارج مساحتنا، هناك بضعة لحظات يجب أن نختطفها اليوم.

- نعم أنت على حق، فلا أدري إن كُنت سأنعم بذلك بالمستقبل أم لا.

- يا فتاة.. بربك! قولي لي.. ماذا بكِ حبيبتي؟ أأنا أسبب لكِ أي إزعاج اليوم؟ أم أنّ حدث ما لا يتخبى بسرّك؟

- لا لا.. لا يوجد أي أحداث من أي نوع، فقط مجرد فكرة ساذجة، دعك منّي فأنا حمقاء بطبعي.

- لا أنت لست كذلك.. دعيني أحتضن هاتين الوجنتين بكفوفي قليلًا، عزيزتي، أنا هُنا، بجانبك، الآن، وغدًا وإلى الأبد.

– ماذا إن رحلنا؟

– سنصبح أصدقاء، رُبما.. أو رُبما سنبقى على اتصال نطمئن على بعض من حين لآخر.

– أتمزح معي؟!

– لما تبكين الآن؟

– لا شيء.. مجرد فكرة عابرة، لا تُعظّم الأمر.

– لا أعظمه!! فهو بالطبع أمر مهم، احكِ لي ما يدور بعقلك.. أرجوكِ.

– كل ماهُنالك أنّها بعض الأفكار السوداوية، يُهيأ لي أنني سأستيقظ يومًا ولا أجدُ لك أثرًا، ولا أجدُ أي خبر، اختفاء غاضب يؤذيني بعنفه ويخطف أي سرور من أيامي. تدور ببالي فكرة أنني سأبقى عُمري وحيدة، أبحث عنك، أبحث عن روحك بين الأشياء وأنقّب عن بصماتك بين الأمتعة، بائسة أحتضر وأنا أتنفس، وتودي بي ذكراك. فكرة أنّنا لم نُصنع لذلك وأننا فُطرنا من أجل الفراق. أتذكّر كيف تقابلنا في

المرة الأولى، كيف اصطدمت مشاعرنا ببعض، فأحدثت جلبة كهربائية بقلوبنا وصل صداها لأناملنا فارتعشت، وإلى أعيننا فجحظت، وإلى الزمن فتوقف. أتعلم أنني كُنت أسمّي ذلك كله هراء، فإيماني به لم يكن يصل للواحد بالمئة، آمنت بأنّ الحُب سلطان قُتل وسُجن بالأساطير، فأتيت أنت لتُثبت لي أنّ السلطان حيٌّ، مازال يأمر وينهي القلوب، مازال يُحرّك ألبابنا كالآلات ونحن سعداء ووجهونا تُشبه البلهاء. المُحيط الوحيد الذي نستسلم لغرقه دون أن نُفكر، والسلاح الوحيد الذي نحيزه دون إدراك. لا أودّ الرحيل، لا أودّ أن أستفيق من غفوتي، لا أودّ ذلك. لا أريد أنّ أتذكرك بالمصادفة وأبتسم وأقُل لنفسي، كانت ذكرى جميلة بيننا، لا أودّ أن أسمع أخبارك من أصدقائك ولا يهتز لي جفن وأدعو لك من قلبي أن تكون سعيدًا مع غيري، لا أودّ أن أحكي لأحدهم أنني بالسابق كُنت مُغرمة بشخص ما وهو أنت، لا أودّ أن أكون مثالية ترتدي عباءة القدر والنصيب، لا أريد أن أصير واعظة، تُخبر قلوب الناس المُحطمة أنّ هناك نورًا آخر بآخر النفق وأنّ العشق يرحل ويأتي أكثر مما يرحل، لا أريدك أن تُصبح مجرد اسم لا يعني لي شيء، لا

أريدك أن تبتعد، أريدك هُنا بجانبي وإلى الأبد، ولا أريد أن يقلّ خوفي من الفراق، لا أريد أن يُصبح شأنه عادي بالنسبة إليّ، أنا لا أريد كل ذلك فقط وحسب، أنا أريدك.

إهداء..

إلى الطيبين،

رفقًا بأنفسكم..

وبنا.

أحمد سلامة

إلى اختي الحبيبة....

لم يخطر ببالي يومًا أن أجلس لأكتب لكِ رسالة، بل ولم أتخيل للحظة أن أجلس متألمة بفعل الشوق لكِ، ولكن يبدو أن كل المشاعر تثار بفعل الغياب.

تهاجمني ذكرياتنا سويًا، بل يهاجمني عمري الفائت كله حين كنا ننتصف عوالمنا معًا، الحلوى، الطعام، الألعاب وحتى الحديث.

كنتِ الشاهد الوحيد على أكثر لحظاتي قوة وأكبر خيباتي.

لم أكن أعلم سر تلك الغصة بداخلي منذ تحديد يوم زفافك ولم أكن أحدد سبب ثورتي في اليوم الموعود، قد أكون شعرت بالإهانة لأنك تقيمين عرسًا وتحتفلين لأنك ستبتعدي عني، حقًا لا أعلم لماذا تقيم الفتاة عرسًا حين تتزوج، ما السبب وراء كل تلك الفرحة في الانتقال من حياة إلى أخرى وتغير كل ما اعتادت عليه؟!

شعرت بأن قلبي يكاد يقفز من ضلوعي خلفك، استحفلتك بكل الطرق بداخلي لكي تعودي معي لنحتمي بغرفتنا كما في السابق عن كل

ما يخيفنا بالخارج فقط لنصبح بخير، رجوتك ألف مرة بألا تقيمي الإعدام على علاقتنا وألا تتقاسمي غرفتك مع أحد غيري ولكن كل رجائاتي كانت صامتة -ومنذ متى كنتِ بحاجة للحديث لتفهميني- ولم تسمعيني، يبدو أن الأصوات كانت أعلى من صوت صراخي ويبدو أن فرحتك قد شوشت جهاز استقبالك لمشاعري.

كلما ازدادت الأغاني صخبًا كلما ازدادت دموعي انهمارًا، كنت في حاجة لكِ، كنت في أمس الحاجة إلى ليلنا في غرفتنا حين كنا نتحدث حتى بزوغ الشمس عن كل شيء وأي شيء، والآن شعرت بأنني وحيدة كورقة شجر وقعت في الربيع، الجميع متشبث بفروعه عداها.

كنتِ تعلمين أنني أكره التغيير، أحب أن تبقى حياتي على شاكلتها السعيدة معك، لم أكن بحاجة إلى زوائدنا، كنا سعداء معًا بلا هذا الرجل الذي أتى واختطفك مني، ولكنك تلك المرة لم تهتمي بي، لأول مرة في أعوامي كلها لم تهتمي بي، لقد سرقك ذلك الرجل واختلفت موازينك حينها.

مازلت أنظر إلى سريرك الفارغ ومنزلنا معدوم الروح وأنتظر زيارتك الأسبوعية كسجين ينتظر رؤية آشعة الشمس.

لم يقدِّر أحدهم خصوصية علاقتنا، الجميع يتفه من نيراني ويتحدثون بمنطقية سخيفة أن تلك "سنة الحياة"، ولكن ماذا عن انهياري أنا بكواليس سعادتك، كيف لي أن أتحمل ألا أحدثك إلى أن يتمكن النوم من كلانا، كيف لي أن أغفو في غرفة اختفيتي منها؟!

لقد كنا متلازمين، لقد كنت أنا من أشاركك كل شيء ،همومك وسعادتك، نتنزه سويًا، أصدقاؤنا مشتركون، أنا من أحفظ كل تفاصيلك، وحدي أنا أعرف أنك تكرهين أن تنامي في الظلام، وحدي أنا من تعرف متى تتألمين حتى حين تُخفي ذلك.

ووحدك أنتِ تعرفين قائمة مفضلاتي وممنوعاتي، كيف لكِ أن تتركي كل هذا الوئام وترحلي.

كنت شاهدة على بناء عشك الجديد، منزل لا يحمل رائحتي ولا ينطوي على أي شيء لي، يرفض عقلي يا حبيبتي تصديق انتقالك إلى منزل آخر، مازلت أستصعب أن تعيشين في منزل لا يحمل ذكريات لنا، في منزل ليس فيه هويتي، كيف لعينيكي أن تذهب في النوم وأنفاسي لا

تحوم حولك، كيف لكِ أن تُكملي يومك دون رؤيتي وتكتفين برؤية أحد آخر؟!

كيف لذلك الرجل أن يسرق سنوات عمري العشرين بتلك السهولة؟!

مازلت أستصعب العيش وحدي وتلك المرة تأبى نفسي التأقلم على الظروف، تلك الظروف التي يخبرني الجميع أنها لازمة.. أرفضها أنا بكل ما أُوتيت من قوة. أرفض أن يقترن اسمك بآخر، وأرفض أن تتقاسمي العيش مع غيري، وأرفض أسرارك التي أصبحتِ تخفينها عني، وأرفض حياة استبعدتيني منها، ولكني على الرغم من قهرتي واستبعادي ونفيي إلا أنني مازلت أتمنى لكِ كل السعادة حتى وإن كانت بعيدة عني أو حتى إن اكتفيتِ بدوري المساعد بها.

❋ ❋ ❋

استيقظت على مواء القطة الرنان

لها طابع مختلف، لا تبرح مكانها حتى يُستجاب لها، تتمتع بإصرار وعزيمة يفوقان قدرة تحمّلي وصبري على جزعها. قُمت على عجلى، لكن بإيقاع بطيء. لم يؤذني نور النهار بعيني ككل يوم فكانت غيمات الشتاء تسيطر على المنزل، فلم أستطع إيجاد التوقيت الحقيقي من بين ثنايا آشعة الشمس المقهورة. أدركتُ أنّه ليس أسعد أيامي، عندما أصاب مؤخرة رأسي ذاك الصداع الفارسي، الذي يُنبؤني بأنّني أسرفت في الراحة والنوم اليوم. جلست واعتدلتُ على سريري، ونظرت لها وهي مازالت تُصدر ذلك الصوت الشيطاني، حسنًا.. ماذا تريدين؟، نظرت لي نظرة مُتفحصة، وكأنها ارتعبت من شعيرات شعري القصير المبعثرة على جبيني وعيني ومنخاري، ثم عاودت عملها في المواء. قُمت من سريري أترنح ترنحًا ثملًا قبل الفجر. يا إلهي ما كل هذا الإعياء؟، رُبما كان ذلك من كآبة الشتاء المفاجئة، أو إنه من ليلتي الطويلة بالأمس. دخلت المطبخ لأتاكد من أنّ أكل القطة بمكانه، وأنّ غسّالة الملابس تعمل

جيدًا. وكانت تجري خلفي هي وكأنها تسابقني، لا تُدرك أن قواي خارت عن الماضي، فسبقتني هي وذيلها، وكأنّها تحاول تنشيطي لألحقها، أو تستثير دمائي بعروقي لتدبّ الطاقة بي، فأسرعتُ من خطواتي خلفها، حتى وصلتُ لأعتاب المطبخ بعد صالة طويلة بمنزل لا يسكنه غيري، لكنّني فُوجئتُ بغراب أسود بجانب طبقها، واقف على أطرافه وريشه نائم ويلتهم بنهم ما بوعائها من طعام. فُزعتُ من كآبة لونه، ومن شباك زجاجي عريض مفتوح على مصراعيه يسمح بدخول نسمات الشتاء الحنونة، لم يلحظ وجود روح غيره بالمكان فاستمر بالأكل. خشيت القطة أن تقترب منه وراحت تلعق أصابع رجليّ الحافيتين، وكأنّها تستنجد بي لأُنقذ ما تبقى لها من قوت الليلة. لن أُنكر، فقد خُفتُ قليلًا، ودبت بجسدي رجفة سريعة ورحلت كزائر المريض، مسحت عينيّ بأصابعي جيدًا لأتأكد من أنّ ذلك الكائن موجود بمطبخي حقًا وليس حلم يقظة، لكن ظنّي خاب وقد كان بالفعل موجودًا. حاولت الاقتراب من ظهره، واستعنتُ بمقشة قديمة، فطار من فوق الطبق، إلى طاولة المطبخ بعد أن لوحت بها، لكنّه لم يرحل.

ازداد نبض قلبي وترقبي، حجبتُ شفتي بأسناني العلوية، وصوبت المقشّة نحوه مرة أخرى، وكأنني أُسدد بالرماية ولوحت بقوة، لكنّه لم يأبه وكأن سحرًا ما ألصقه حولي وبمنزلي، وبجانبي تُصدر القطة صوت مواء ضعيف عميق وكأنّ خوفي متمثلٌ بها، فتُصدر ذلك الصوت رفقًة بي حتى لا تُجز روحي. لم أدر ماذا أفعل، أأتجه إلى غُرفتي التي أنام بها وحدي كل ليلة؟ أم أقفل باب المطبخ وأنتظر أحدًا لن يأتي؟ أم أجلس على أرض المطبخ تلك وأراقب الغراب حتى يمشي وحده أو ينتهي لي ماتبقى من أعوام هزيلة؟

ارتبكتُ ولم أدر ماذا أفعل، فلجأتُ لأن أعاود ما قد شرعتُ به وما يجب عليَّ صنعه. أحيانًا يختار الإنسان طريقًا ما لأنه لا يوجد غيره، أو لأن الآخرين لم يكن ليسلكوا غيره. لوحتُ مرارًا وتكرارًا بسلاحي الخاذل لكن بقوة ومرة واحدة، حتى أصاب الغراب بجناحه فهوى أرضًا مرة واحدة وطار طيران متقطع وكأنه ينازع، ثم هوى، ثم طار ثانيًة وراح يترنح كما كُنت أترنح أنا منذ قليل. خشيت القطة من هيئته ومن خوف الغراب فخرجت تجري خارج المطبخ لتختبئ بمكان آخر، لا يوجد به سوادٌ أو غربان. وهو مازال يترنح بما تبقى له من قوة، وكأنّه

لا يستطيع تصديق أنّ جناحه قد أُصيب، ولا يستوعب أنّه لن يطير مرة أخرى كما اعتاد، تمامًا كما زفّوا لي خبر موت زوجي منذ عشرة سنين، وكأنّه الآن يحدث، وكأن جناح الطائر ذلك الذي يرتعد هو قلبي الذي انتفض. لم أقصد أن أُؤذيه حقًا، وقفتُ أتصبب ماء خوف وليس عرق، وارتجفتُ شفقًة وليس خوفًا. وقف على طرف الطاولة مرة أخرى، فاهتز فنجاني العزيز- الذي أهداني إياه ولدي بآخر عيد أم قبل أن يرحل مع زوجه خارج البلاد قبل أعوام- وهوى بدلًا منه، فبكيتُ، طفرة سريعة بأناملي، وسقطت أول دمعاتي أرضًا بجانب رُفات الفنجان. شعرتُ بالضجر، وقلة الحيلة، ماذا تُريد منّي؟! أما كفاك ما حدث! ارحل عنّي وعن منزلي، اتركني وحيدة كما أتيت، ارحل عنّي هيّا!

نظر لي وكأنه يحاول استدراك مخرج الصوت، حاول الطيران، مرة تلو الأخرى، لكنه هوى أرضًا ثانيًة واصطدم بإحدى بقايا الفنجان المكسور.. وجدته يقطر دمًا وهو يحاول الطيران مرة أخرى، ارتعدتُ وظننتُ أنني من جرحه فنزف بعد كلماتي، فياللقدر اللعين، بدأ يُصدر أصوات غريبة لم أسمعها طوال سنيني البائسة، وكأنّه يستجدي النجدة

من أحدهم، رميتُ المقشة أرضًا ووقفتُ أنظر له عن بُعد، وأنا وحيدة كُليًا، حتى القطة تركتني ورحلت، كُنت وجلة، أرتعش، أخشى أن أكون قد آذيته، وأخشى أن أقترب فيؤذيني، فلم يسعني غير البكاء كأي امرأة حائرة بهذا العالم، وكأنّني بكيتُ بدلًا منه على نزيفه، وعظامي الوهنة تصطك ببعضها. استطاع أن يعتدل بنصف جناح واقترب من الشباك المفتوح، فمسحتُ دمعاتي العالقة بجفوني وكفوف يداي تستعين ببعض لتُقلل من رهبة اللحظة حتى أرى خطوته التالية جيدًا، كأنني أنتظر قرارًا حاسمًا ينتشلني مما أنا فيه. وها قد اقترب من حد الشباك، وهو يُصدر نفس الصوت من حنجرته. وبوثبة واحدة استطاع أن يترك بيتي الذي لم يُصبه أو يُصبني بغير الألم. وكانت الشمس تتجه لمضجعها الذي لم تمّله يومًا قط، فطار دُفعة واحدة، رغم جناحه المُتألم وقطرات دمائه المُراقة، رحل وتركني لألملم شتات ما كُسر، وأمسح بقاع الدماء العالقة بالبلاط، وأُهدئ من روع قطة مذعورة خُطف عشاؤها اليوم، وأضمد جروح قلب امرأة مُسنة ستقضي الليلة وكُل ليلة وحيدة.

❄ ❄ ❄

إلى تلك اللحظة....

تلك اللحظة التي تحققت فيها عدالة السماء وتجسد فيها كرم الله عليّ، حين عوضني الكون فيها عن كل ما فعله بي، حين احتضنني الزمن وقررت الدقائق أن تتمهل والثواني أن تتوقف ... حين عُدت إليّ.

حين عُدت إليَّ كملك مظفر هزم الأعداء وانتصر، كمن قهر الظروف وعاد برأس مرفوع.

كنت فقدت الأمل في لقاء آخر يجمعنا، كان قلبي يعتصر ألمًا وينبض خوفًا من أن يفتقد عينيك البنيتين.

خشيت ألا أرى ضحكتك ثانية وألا يمهلني القدر فرصة أخرى للغوص في ملامحك، ومراقبة أفعالك، خشيت مواجهة العالم من دونك.

كان عالمي باردًا سخيفًا يتشابه ويتكرر، أرى الجميع عداك ظننت أنني معاقبة من قِبل الكون، أو ابتلاني الله بحرماني منك، ظننت أن الجميع تآمر ليُبعدك عني وليُحرمني من أنهار العسل في عينيك ولكني

كنت مخطئة، لقد تجمعت الصدف واتحدت مع الأقدار لأحيا تلك اللحظة.

تلك اللحظة حين عُدت وكنت ماثلًا أمامي، أستطيع أن أراك، أحدثك، أسمعك، كنت حقيقيًا وكل شيء حقيقي، سعادتي لم تكن خيالًا، لقد تذوقت لحظات السعادة في واقعي المؤلم.

كانت لحظة تُشبه دخولك الجنة بعد مرورك بحساب عسير فتنسى كل الألم والخوف وكأنك ما رأيت يومًا سيئًا أبدًا.

تلك هي اللحظة الوحيدة التي أردت تخليدها إلى الأبد في ذاكرتي وأوراقي وقلبي وعقلي وللتاريخ، أريد أن أخلدها في كل مكان يمكن أن يحفظها حتى وإن اضطررت لنحتها على عقول البشر سأفعل، كيف لي أن أمررها مرور الكرام وقد ابتسم لي الكون كله وشعرت أنني من شعب الله المختار، كيف لي أن أتوقف عن وصفها بتلك السهولة.

لقد نبض قلبي نبضًا غير معتاد لم ينبض به من قبل، أعلم نبضات الحب جيدًا، تكون عنيفة ولكن ليست كعنف نبضات قلبي ذلك اليوم، أعلم نبضات القلق والخوف والسعادة والحرية، أعلم كل تلك النبضات ولكن لا شيء يشبه نبضات قلبي حين عودتك،

كانت الأكثر عنفًا على الإطلاق، كان قلبي يقيم زفافًا بداخلي يعزف أعذب السيمفونيات وأكثر الأغاني صخبًا، كنت أتذوق طعم الأمان في تلك اللحظة،

طعم تجدد الأمل، انتهاء الألم، رأيت لمعة عيني لأول مرة جلية واضحة وكأنني أردت أن أخبر الجميع بكل ما أحمل أنك هنا، أنك عُدت وعاد كل شيء ليُبعث من جديد وعُدت أنا لأتنفس ثانية.

حتى ابتسامتي أبت أن تطيعني في الهدوء، كانت أوسع مما عاهدتها وأجمل مما اعتدتها، أبت الاختفاء وكأنها أرادت أن تستقبلك بحفاوة.

وقتها فقط تلاشت أفكاري السابقة السوداوية وحلَّ محلها كل ما هو مشرق، انتهت ثورتي تجاهك، سامحتك قبل أن تطلب، عفوت قبل أن أصفح، لم يكن لدي خيار آخر، لم يكن هناك أي مجال للعتاب والخصام، لم يكن هناك وقت إلا من أجل أن أتأملك وأبتسم وأحمد الله بداخلي على عودتك.

كافأني الله بصبري وبقدر ألم الغياب تذوقت حلاوة الوصال.

❋ ❋ ❋

لا أستطيع مطلقًا أن أحتمل فكرةَ وجود شخص يتوقَّع منّي شيئًا، فهذا ما يدفعُني دائمًا لفعل العكس.

سارتر

إلى حريتي....

قبل خمسين دقيقة من الآن حصلت على ورقة حريتي، حصلت على وثيقة تقر بانتهاء الذل وبداية عهد جديد أنا من قررته دون ضغوط ودون خوف.

لا أعلم لماذا تبكي أمي بحرقة الآن وكأنني قد قررت الانضمام إلى إحدى المنظمات الإرهابية لتفجير نفسي في حدث مهم، ولماذا اكتسى وجه أبي بسواد لم أر له مثيل من قبل.

وأتعجب من عيني التي أبت أن تقطر دمعة واحدة ورفضت أن أنتحب وأبكي.

في السابق كنت أظن أن الزواج هو النهاية السعيدة لكل حيوات البشر. ظننت أيضًا أن الفاجعة الكبرى لا تأتي إلا من الانفصال وانتهاء النهاية السعيدة ببداية مرعبة من دون شريك.

لا أعلم تحديدًا سبب أفكاري السابقة، قد ترجع إلى شعوري في أنني في سباق دائم، يجب أن ألحق قطار السابعة في الساعة الخامسة حتى

أحظى بالإعجاب من الجميع، يجب ألا أتأخر لخمس دقائق حتى وإن كنت مقطوعة الأنفاس.

كنت في سباق مع الصغار وتحدٍ مع الكبار وأتطلع إلى غدٍ مشرق يحمل منزل دافئ وحياة سعيدة. كنت مهيأة دائمًا لأصبح عروسًا منذ الصغر، أقع في دائرة الانتظار أن أكبر لأحقق أحلامهم ونسيت أن أحلم. مازلت أتذكر تلك العجوز التي أخبرتني في طفولتي أنني قليلة الجمال، لن يقبل بي أحد، كانت تقولها بخبث امرأة ستينية دون أدنى اعتبار لأن كلامها موجه لطفلة لم تكن لتضع في رأسها يومًا مقاييس الجمال والقبح!!

أخذت قرار الزواج بقوة مدفوعة من الجميع أنا وهم من أعلمهم ومن أجهلهم وفي الواقع وثيقة طلاقي التي حصلت عليها قبل دقائق لم تكن طلاق من زوجي فقط وأيضًا لم يكن زواجي فاشلًا لتلك الدرجة التي تدعوني للطلاق من وجهة نظرهم.

تحملت عشرة سنوات من عمري دون شعور يُذكر فقط لأنه لا يوجد سبب كافٍ للطلاق من وجهة النظر العامة، مادام أنه لم يتزوج بأخرى فإنه زوج مثالي،

أحدهم لم يلتفت إلى أن هناك عدم توافق من المحتمل أن يدمر علاقات وأن ينتهك طاقات وأن يُنهي بشرًا، انحصر دور الطلاق في خيانة أحد الطرفين

وانتظرت كثيرًا تلك الخيانة، انتظرته أن يخون فأستطيع الهروب من ذلك الشعور بالتيه، لكنه لم يفعل وفقدت أنا قدرتي على الانتظار أكثر، روحي لم تعد تتحمل، أرادت أن تصرخ، تلك الروح التي كانت تجاهد للحصول على عش سعيد يشبه الأحلام فقدت صبرها في البحث وكأنني كنت أبحث عن سجن أو مدفن وأدتُ فيه أحلامي الحية، حتى ذلك اليوم الموعود الذي اتحدَّت فيه أحلامي الضائعة مع روحي المكلومة وترددت كلماتهم كصدى مزعج على جدران عقلي واستجمعت شجاعتي وتجرأت وطلبت تلك الكلمة التي يخشى الجميع أن تمر على أذنيه، طلبت الطلاق.

وعكس ما تصورت لم أشعر بالخذلان ولا الخوف، لم يسيطر الضعف عليّ، ولم أبك زواجي المنتهي، لقد تطلقت.. تطلقت من الجميع، من زوجي، والإطار الاجتماعي، وأحاديث البشر، وهمهمات

النساء، طلقتهم جميعًا، وها أنا الآن أتمتع بهواء الحرية وصفاء الذهن وهدوء الروح منذ 60 دقيقة من الآن وأستطيع أن أقول بابتسامة واسعة.. أنا امرأة وأعول.

علم أنّ اليوم هو آخر أيام حياتي

أتى ببالي جيش عظيم من الأفكار والاختلاجات. في السابق عندما كنت أتوقع خيال لحظات انتظار الموت كنت أظن أنّ لحظة كتلك التي تخيلتها والتي قابعٌ أنا فيها تكون أكثر مأساويّة وأكبر جزعًا، لكن عادةً ما تُضخّم عقولنا الأمر كونها تخاف أن نُدرك تفاهة العالم، ويخشى رشدنا علينا من صدمة أنّ الموت أبسط مما حكى أسلافُنا من قبل. فجأة وجدتُ صدري اتسع لكل ما هو بهذا العالم، فلم أعُد أتذكّر إلّا تجاربي اللطيفة، وكأنّ كل ما أرهقني في يوم أو أتعسني في آخر قُد مُحي كُليًا، حتى ذكراه أصبحت تُصيبني بالابتسام. واجتاحني سلامٌ داخلي على غفلة يُشبه الرضا الإلهي الساكن بجوفي. لم أدرك أأنا كُنت أتوهم العيش السيء أم أنّ نظارتي كانت تُشوه بصري وبصيرتي. تذكّرت كل شيء، أسرع مما كُنت أنسى بأيامي. تذكرتُ طفولتي ولعبي، دببتي القطنية وخاصة ذلك الدب البني الذي كُنت أحتضنه بالفراش قبل نومي، لم أكُن أدرك يومها أنني سأسمع جملة "سيتم نقل أوراقه إلى فضيلة

المُفتي"، أيُعقل ذلك؟! استشهدوا بدُبي الصغير وسيبرهن لكم أنّ ذلك كابوسًا لا أكثر. تذكرتُ بكائي على الحلوى التي كانت تُخفيها عنّي أمّي، كُنت أتوقعها نهاية العالم، وها أنا ذا أنظر نهاية عالمي ولم أعثر بجفوني على دمعة واحدة قط. وتذكرتُ عراكي الطفيف مع أصدقائي بالمدرسة الذي كُنت أنا مُخطئ به، لعلهم يعلمون أنني سأفنى بعد دقائق علّني أحتضنهم جميعًا لبرهة من الوقت حتى بعد مرور تلك السنوات ورُبما حتى بعد نسياننا للأمر، لأترك بثناياهم بقايا من روحي الحقيقية، روحي النقية التي لم تعد تتلوث بخصائص البشر.

أتذكر دقة قلبي الأولى، تلك التي تزوجت قبل أعوام بعد انتظارها لي للكثير من الأعوام الأخرى من قبل، سأخبرها وبكل روحي أنّي أحببتُها، سأقولها دون زيف، دون شهوة، دون لغط، سأقولها من أعماق روحي، لتخرج نقيّة من أي شعور آخر وبشغف حقيقي. فبحلول الموت يطهُر الجميع، ويحلّ الصدق كأنّه وليد الساعة، وتبزغ الحقيقة، الحقيقة التي لم يلمسها إنسان قط بأيام حياته. وتذكرتُ تلك الوظيفة التي ضاعت من يديّ بعد أن كدتُ أصل إليها بكدٍ وتعب، التي ولو عُدت

لتلك اللحظات كُنت سأشقى من أجلها كما فعلتُ وسأهروّل وراء نوالها كما اعتقدتُ، فهكذا هي الحياة، وهكذا هو أنا، فنحنُ لا نحتاج لأن نصل كي نعيش، فاحتياجُنا وحده وصول.

تذكرتُ أيضًا تلك الأحلام التي كُنت أسعى خلفها، كانت بسيطة، إلّا أنني لم أُدرك أنّ بعض الأحلام تُولد مشوهة وتُدفن وحيدة، ويُكتب على أصحابها الندم والاستسلام. تذكرتُ أمُي وضحكات أمُي، أرضي، ونشيد بلادي، ومدرستي، ودُعائي بأيام المطر، وصوت رقصي وضحكاتي، وقبلاتي الخفيّة لحبيبتي، وشغفي بآخر يوم مدرسة، صلاتي الأخيرة لي قبل دقائق، وتعاستي بآخر يوم بالجامعة، وانتظاري لأول عمل بحياتي، واكتفائي برحلة حول شوارع المدينة، وبالفرص التي أضعتها ولم أندم عليها قط، وكل أمنية تمنيتها ونسيتها بنفس اليوم، وفنجان القهوة الذي تركته بإحدى ليالي الشتوية فبرد، ملمس يد أبي، عيون ابنتي التي حلمتُ بإنجابها، صوت اصطكاك الباب خلفي كل صباح يوم، رسائل الله لي، خوفي أن أشبههم، أن يبتلعني القطيع، ولومي القصير وعتابي لإخوتي، ودقات قلبي وأنا أتلقى أول توبيخًا قاسيًا من

عائلتي، تذكرتُ سنّتي الأولى التي أهديتها للشمس، رهبة كل اختبار، كل مخاوفي من الأغراب، خطيئة آدم الأولى، تذكرتُ كل شيء، وأي شيء، فبعجلة وباندفاع الصغار ترامت على ذاكرتي المشاهد، فاستسلمتُ لها واستسلمتُ للحبل الذي يحتضن رقبتي وهويت بابتسام!!

❋ ❋ ❋

أخرجت أوراقي القديمة من مكانها

كانت مُختزنة بالخزانة، مرّ عليها أكثر من ثلاثة أعوام ومازالت كما هي، لم تقرضها الفئران ولم تصبها صاعقة إلهية بعد. لم يكن الأمر يحمل هذا الكم من التهويل أبدًا، كل ما فعلته هو أنني رغبت الاتصال بالله. رغبتُ الحديث إليه والتكلم معه، رغبتُ أن أسأله عن العالم، عن الكون، عن الدين، عن التعاليم، عن آدم، وعن حواء.

لم يكن الأمر بتلك الفجيعة، إلّا أنّهم اعتبروه كذلك. يا إلهي الوحيد، لمَ لم يدعونني وشأني؟ لمَ لمْ يتركونني أسألك؟ قد طلبتَ منّا ذلك وقد شرعتُ فيه.. إلّا أنّهم لم يتركونني أُلبِّي. حجبوا أفكاري ومنعوا لساني، يقولون إنني أكفُر بك، أأنا أكفُر بك يا إلهي حقًا؟ لكن وإن كُنتُ أرغب في أن أدفن وجودك، لمَ كان عليَّ أن أسألك من الأساس؟ حاولتُ الاستمرار ودعوتُك بقلبي، أن تنجني من القوم الظالمين، أن تحميني منهم، كُنت هناك بجانبي، كما أنت دائمًا، ادّعوا أنّي أشيع الفتنة بين الصبايا قبل الصبية، برغم أنّه لم يكن بنيتي ذلك، رددوا بوجهي، أنّ

لهيب جهنم سيحرق أجزائي، أمعقول أنني سأُشوى لأنني أخاطب نفسي وأسألك؟! هل جُنّوا يا إلهي؟ أمْ أنني قبعتُ بالبقعة الخاطئة بهذه الأرض؟ هل أصابتني اللعنة حقًا كما يرددّ عنّي الجميع حولي؟ أمْ أنني أمة ودتّ الاحتماء بملجأها الأخير والفرار إليه؟ هل كان ذنب حقًا أن أسأل عن المبرر؟ أمْ أنّ عقولهم أُكلت بفعل تقدم الزمان؟!

يا إلهي، أنا من الضعفاء، قابعة هنا وحدي، يكفرونني، يلعنونني، يتهمونني، يقحمون أنوفهم في الجسر الذي بُني بيني وبينك، كل يوم وكل ليلة، يكررون أنّ أسئلتي من صُنع إبليس، لم لا يُدركون أنّ أسئلتي وُجدت لأراك أوضح، لأتشبث بظلك أكثر، ولأنعم براحة البال قليلًا؟!

سألتك عن الكثير، عن أسباب وجودي بالعالم، وأسباب وجود العالم، وعن ظلمهم لي كأُنثى، وأسباب وجود الأنثى، وعن أسباب الأسباب وجوابات الأسئلة وانتظرتُك. قالوا لي إنّ الإجابات مذكورة، وإنّ ليس من حقّي أن أسأل، أن أطمح لما هو أكبر، رغم أنني أعلم أنّ هناك الكثير الذي لا أعلمه، وأنّ من حقي أن أعلم حتى وإن كان

البعض منه. إلّا أنّهم لم يتركونني أنعم بانتظارك، ولم يدعونني أنتظر نعيم راحة البال، استضعفوني يا الله، برغم أنّ روحي مِنك. فأنا متأكدة بأنّك هُنا، تسمع وترى، وبأنك يومًا ما ستُجيب.

وأتمنى لو أن إجاباتك تصل إليَّ سريعًا لأُخرس أفواه هؤلاء الذين يبارزوني بكلامك بتفسير خاطئ.

أعلم أن حكمتك تفوق كل شيء وعدلك يغلفني وكافة اتجاهاتي.

إلهي أستشعر وجودك في كل أفعالي، أعلم أنني عائدة إليك يومًا ما مهما طالت أيامي في تلك الدنيا الفانية سأعود إليك ولكني سئمت هؤلاء المزيفين للحقائق، من يستغلون كلماتك ليظلموا.

جميعهم يتحدثون عن جنتك ونارك وهم أقرب إلى فوهة النار مني، أحبك يا الله وأطمع في جنتك وأخاف نارك أكثر من أي شيء وأنتظر يوم حسابك العادل بقلب خائف ومطمئن بالوقت ذاته، مطمئن بعدلك وخائف من أفعالي.

إلهي هل ستعفو عن هؤلاء الذين يهشمون قلوب النساء بدعوى التعدد، الذين يدهسون على الكرامة الإنسانية بدعوى أنهم الأقوى. أثق في حكمتك كل الثقة، وأنتظر أن يتجسد عدلك على أرضنا قريبًا.

لقد سئمت يا الله من هؤلاء الذين ينبذوني بسبب جنسي أو فكري أو كلمة تفوهت بها. أرضنا أصبحت مرعبة، حروب، عنصرية وجرائم، كنت أطمح لو أن لتلك الأشياء أعمار وتنتهي.

لو أن لانتهاك الحقوق ميعاد موت ويأتي عزرائيل ليقبض روح الحرب ويحرر المستضعفين في الأراضي، لو أن التعدي على البشر يموت في يوم ما ونحيا بعدلك في أرض هادئة.

أؤمن بكلامك وبحكمتك، أؤمن أنك خلقتنا لحكمة وخلقت عقولنا لحكمة وألهمتنا السؤال لحكمة.. لماذا هناك حروب؟! ولماذا هناك جنس مفضل على الآخر؟! لماذا لا يوجد مساواة حقيقية في الأرض كتلك التي في السماء حين نقف أمامك وبين يديك؟!

أعلم أن الدنيا دار الابتلاء لننعم بنعيم الجنة في الآخرة، ولكني مازلت أطمح أن يحتل كوكبنا السلام وتسيطر المساواة ويعود ويعيش العدل أزهى عصوره.

واثقة أن إجابة تساؤلاتي ستصل إليَّ ولن أتوقف عن حبك والإيمان بك ما حييت، ولن أتوقف عن البحث عن إجابة لأسئلتي، ولن أمَلُّ من

السعي لأصل إلى أعلى مراحل اليقين ولن أصمت على ظلم يحاوطنا، وسأحارب هؤلاء المتحدثين باسمك الجليل وهم أيدي الشياطين في الأرض.

فلتغلفنا بعدلك يا الله ولتساعدني في خوض حروب المتلونين، فسأظل أدعو وسيظلوا ينعتوني، حتى أجدُ إجاباتي أو أجدُ نفسي بين الإجابات.

إهداء

إلى السيد/ مصطفى سراج الدين، الرجل الذي لولاه ما أصبحت. إلى لحظات جمعتنا وإلى وجودك الدائم ودعمك المستمر وعقليتك العبقرية وروحك المبدعة. إلى والدي الحبيب، إلى من أفخر باقتران اسمي باسمه، والدي العزيز.. شكرًا دائمًا وأبدًا، أشكرك بعدد اللحظات التي أهديتها لي، وبعدد الكلمات التي وجدت في نقاشاتنا، وبقدر تفهمك لكل حالاتي، وباحتوائك لثوراتي.

إلى السيدة/ سهير عبد الحميد، المرأة الخارقة، الصامدة، البشوشة، ذات الدعم المعنوي الدائم والكلمات المشجعة. إلى والدتي.. أشكرك بقدر إصرارك على تقديمي إلى المجتمع وبقدر وقوفك الدائم معي وزرع الروح الطيبة بداخلي .

وإلى عواميد السعادة في حياتي وركائز قوتي ومصدر النور في حياتي/ (إيمان، أحمد، ريم).. دُمتم بهجة في حياتي وسببي الرئيسي في التقدم، شكرًا لمؤازرتي دائمًا أمام كل ما يواجهني.

إلى/ نوران حسام الدين، هذا الاسم هو سبب كل شيء وبداية كل شيء، هو الانطلاقة الحقيقية والإبداع المشتعل، إلى شريكتي الأولى وجارتي وصديقتي..

شكرًا لتحملك لكل تقلباتي المزاجية وتحملك لكل أفكاري الأكثر جنونًا والأكثر منطقية، شكرًا لأن لولا صبرك ما استمريت ولا بقيت، شكرًا أيتها اليد الحنونة الجاهزة دائمًا لالتقاطي...

رنا مصطفى

❋ ❋ ❋